أمهات القادة

إعداد:

نيلوفر بنت علي

الكلية السلفية، بكشمير

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، وبعد :

فإن كتاب (أمهات القادة) كتاب ممتع، يرغب النساء في حسن القيام بتربية الأبناء، والأخذ بالأسباب، وذكرت الأخت مجموعة من النساء ليس لهن أبناء قادة، ولكن يستفاد من سيرتهن كقدوات. وهن من ذكرن في القرآن، وأمهات المؤمنين وغيرهن في آخر الكتاب. وسوف نضيف الأسباب -بعد الله عز وجل- لصلاح الأبناء؛ لكي نقتدي بأمهات القادة في حسن التربية. وكذلك نميز اقتباسا من سيرة كل أم. ونشكر الأخت: نيلوفر بنت علي، ومن كان لهم مشاركة في إستخراج الكتاب، وبالله التوفيق.

عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن المهناء أباالخيل

المملكة العربية السعودية – القصيم – بريدة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان، وسار على نهجهم إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن سر السعادة كامن في نقاء العلم والمعرفة وصفاء التعليم والتربية. وبما أن الإسلام نظام شامل للحياة فقد حوى قواعد وأساليب محكمة للحياة من جانب، وسد جميع الطرق المؤدية إلى الزيغ والانحراف من جانب آخر. وبما أن صلاح المجتمع الإسلامي وفساده ينبني على صلاح تربية الأولاد وفسادها؛ فقد وضع القرآن الكريم أسسا وقواعد للتربية الصالحة للأولاد، تقيم الأمن والاستقرار في المجتمع.

إن أمهات سلفنا الصالح قد راعين هذه الأسس والقواعد الإلهية والنبوية في تنشئة فلذات أكبادهن؛ فأنجبن أئمة الهدى، وقادة الشريعة الذين آثارهم لاتزال ساطعة على سماء العلم التي لا غبار عليها إلى يوم القيامة؛ فجعل الله أولادهن قرة لأعينهن، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، وجعلهم أئمة لمتبعي الحق، ومبتغي الخير. ويتجلى دور الأمهات في التربية العلمية لأئمة العلم والهدى، أمثال أمير المؤمنين في الحديث الإمام مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، وإمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله وغيرهما.

ولكن أكثر المسلمين في العالم الحاضر تأثروا بالمادية وخضعوا لها، وأصبحوا ضحية حملة التيار الغربي، فتركوا تراث سلفهم الذي يجلي البصيرة، ويشحذ القريحة وراء ظهورهم، بدل أن ينهلوا من معينه، ويجعلوه نصب أعينهم. لكنهم رغبوا في تربية أطفالهم وفق نظم الغرب الوضعية، فتمثلت نتيجة ذلك في العقوق، والطغيان، والبغي. كل من له شيء من البصيرة يدرك أن هذا مما كسبته أيديهم، وعملته أنفسهم. ولا يغرس الشوكة ويأمل الزهرة إلا الغبي والمجنون.

فالحاجة ماسة في زمننا هذا إلى أن يرجع الآباء والأمهات إلى طريق سلفهم في تربية أولادهم، ليخلفوا أئمة الهدى، وينشروا أنوار الوحي وأضواء مكارم الأخلاق في عصر الظلام. فإن الاطلاع على سير السلف وعدم تطبيقها على الحياة مما يمهد سبيل أمراض كثيرة. وأدرك ذلك فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله المهنا حفظه الله؛ فقد ألقى كلمة عن "أمهات القادة" في قاعة المحاضرات بجامعة من جامعات كشمير (الكلية السلفية للبنات)، وطلب مني تأليف كتاب في ذلك، بعد أن رشحني شيخي الكريم فضيلة الشيخ مُحَمَّد خليل المدني حفظه الله تعالى. ووافقت على طلبه مع قلة بضاعتي في العلم والفهم، راجية عون الله وتوفيقه، وذلك تحت إشراف صاحب الفضيلة مُحَمَّد خليل المدني حفظه الله.

وقسمت الكتاب إلى خمسة أبواب، وفي كل باب عدة فصول كما في الخطة. وبما أن القصص والوقائع في الكتاب مقتبسة من كتب التاريخ والتراجم؛ راعيت فيها التثبت والصحة، وحاولت في تيسير الكتاب ما يسعني ذلك. فإن كان حسنا فمن الله، وإن كان عكس ذلك؛ فهو مني ومن الشيطان. وسبحان الله عن المعايب والنقائص.

وأخيرا أسأل الله الكريم أن يجعل فضيلة الشيخ عبد العزيز المهنا من الفائزين برضاه وسعادة الدارين. فإنه هو الذي حثني على إكمال هذا العمل المهم ((فَإِنَّ الدَّالَّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِه))[١]

وأشكر من أعماق القلب صاحب الفضيلة الشيخ مُحَمَّد خليل المدني –حفظه الله– الذي ما زال يتحفني باقتراحاته القيمة، وراجع الكتاب، وصححه، وعدله في وقت يسير مع كثرة أشغاله العلمية. بارك الله في عمره، وعلمه، وعمله، ووفقه وإيانا لما يحبه ويرضاه. وبارك في أعمار جميع أساتذتي، وعلمهم وأعمالهم، ونفعنا والأمة جمعاء بعلمهم وطول حياتهم.

---

[١]– أخرجه أحمد: (٢٣٠٢٧).

وأشكر كذلك من أعماق القلب أهل بيتي المحسنين الذين وفروا لي الوقت الكافي للتأليف وساعدوني عليه بكل سبيل، ثبتهم الله على الهدى ومنحهم السعادة في الدارين.

وأخيرا أسأل الله أن يتقبل هذه البضاعة المزجاة خالصة لوجهه الكريم، ويجعله وسيلة للنجاة والمغفرة لي ولوالدي، وأساتذتي الكرام، وكل من ساعد في الانتهاء من الكتاب. آمين يا رب العالمين، وصلى الله وسلم على خير خلقه مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبته

نيلوفر بنت علي

الطالبة بالكلية السلفية للبنات، بسرينغر، كشمير

بتاريخ: ١٧/ يناير/٢٠١٩ م الموافق ١٠/٥/١٤٤٠ هـ

الباب الأول:

وفيه فصلان

الفصل الأول:

كلمة تمهيدية

الولد نعمة الله العظيمة

الولد نعمة عظيمة من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى، بشرط أن يعتنى بتعليمه وتربيته وفق الشريعة الإسلامية ، ولولم يكن الولد من النعم العظيمة لما سأله الله أنبياؤه ورسله، ونحن نجد في القرآن الكريم ذلك الدعاء الرائع الجميل الذي تقدم به إلى الله خليله إبراهيم عليه السلام عندما سأله الولد؛ فقال: **{رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ}[الصافات:١٠٠]** فأجاب الله دعاء خليله ووهب له غلاما حيث قال بعد الآية المذكورة: **{فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ}[الصافات:١٠١]**

يقول الحاقظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: (يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصلاة والسلام أنه بعد ما نصره الله تعالى على قومه وأيس من إيمانهم بعد ما شَاهَدُوا مِنَ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ هَاجَرَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ وَقَالَ إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ يَعْنِي أَوْلَادًا مُطِيعِينَ عِوَضًا مِنْ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ الَّذِينَ فَارَقَهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ وَهَذَا الْغُلَامُ هُوَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ أَوَّلُ وَلَدٍ بُشِّرَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ إِسْحَاقَ[٢]) ويشير قوله تعالى (حليم) إلى أن هذا الغلام سيكون حليما بعد أن يبلغ أشده.

ولما أجاب الله دعاء إبراهيم عليه السلام وهب في حياته لابنه إسحاق (الذي ولد من سارة عليها السلام) ابنًا وهو يعقوب، وكان نبيا مثل أبيه وجدِّه، وسمى الله الثلاثة صالحين، فإنهم عبدوا الله حق عبادته، من غير تقصير في حقوق العباد، فجعلهم الله أئمة الهدى، وكانوا يعملون صالحا، ويأمرون الناس بالمعروف في ضوء الوحي الرباني.

وكذلك زكريا –عليه السلام– سأل الله الولد الصالح الطيب. يقول تعالى: **{وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ}[الأنبياء:٨٩]**

---

[٢]– تفسير ابن كثير: (٢٣/٧).

ولما وجد عند مريم الثمار الموسمية تمنى الولد مع شيخوخته وعقارة زوجته، فارتفعت يداه إلى السماء مباشرة وأجاب الله دعاءه. يقول تعالى: **{هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء. فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِين}**[آل عمران: **٣٨-٣٩]**

أقول في ضوء الآيات البينات التي سبق ذكرها: إن الأولاد ـ بدون الفرق بين الذكر والأنثى ـ من نعم الله العظيمة في الدنيا والآخرة، إذا عني بتعليمهم وتربيتهم، ولأجل هذا رفع أنبياء الله المختارون إلى الله يد السؤال سؤال الأولاد.

أما كونه نعمة في الدنيا فإنه يعمر البيت بهاء وجمالا وسرورًا. قال تعالى: **{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف:٤٦]** وأما في الآخرة فلأنه إن تمت تربيته وفق الشريعة الإسلامية الصحيحة أعطى الله أجره في الآخرة، وما عمل من عمل صالح في الحياة الدنيا فللوالدين منه نصيب.

الفصل الثاني:

دور الأم في تربية الأولاد

إن مسؤولية الوالدين تجاه تربية الولد عظيمة جدا، فقبل أن يلتحق بالمدرسة ويتحلى بالعلم والتربية على أيدي المعلمين، يقضي جزء من عمره بين الوالدين والأقارب، ويتعلم منهم أدب الحياة وسليقة العيش. ومهد الأم مدرسته الأولى، ودورها مهم جدا في تربيته، فإن علاقته مع الأم أكثر وأشد منها مع الأب. يقول الشاعر العربي:

الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعبا طيب الأعراق

ويرى التربويون من أهل الإسلام أن تربية الأولاد من واجبات الأم لا غيرها من الحاضنة والمرضعة؛ فإن الأم تمنحه من الحب والحنان ما لا يمنحه غيرها. فمما قرر الطب الحديث أن الولد يتأثر بالمرضعة خَلقا وخُلُقا. فإذا اضطر إلى حاضنة فليتم اختيارها على أساس التدين، والعفة، والتعليم، والتربية.

والواجب على الوالدين تجاه التربية: التوسط والاعتدال في الشدة والسماحة؛ فإن السخط الدائم على الولد، أو الانتهار والتغليظ على كل صغير وكبير مما يغرس في قلبه شعورا سلبيا. وكذلك المبالغة في إظهار الحب والحنان أمامه مما يدفعه إلى سبيل الزيغ والانحراف. فالواجب على الوالدين وخاصة على الأم: التوسط في الشدة والسماحة؛ ليستقيم على الجادة والصراط المستقيم.[٣]

ووجود كواكب العلم المضية التي لا تزال لامعة على سماء العلم من بين سلفنا الصالح إنما هو من ثمرات تربية الأمهات. ففي الصفحات القادمة أقدم لكم تراجم أمثال هؤلاء الأمهات الجليلات -بإذن الله تعالى- يتضح من خلالها أن الأم هي التي أنجبت كبار أهل العلم، وأصحاب الفضل، وقادة الأمة والمجاهدين في سبيل الله.

---

[٣]- خاتون الإسلام (المرأة المسلمة):٢٢٣-٢٢٤.

ثمرات تربية الأولاد:

الولد إن كان صالحا متحليا بالتربية الإسلامية، لا ينحصر نفعه في الحياة الدنيا، بل ينتقل إلى ما بعد الموت والدار الآخرة. فهو من أسباب قرة العين، وانشراح الصدر، واطمئنان القلب، والأجر العظيم في الدنيا والآخرة. الولد ذكرا كان أو أنثى من أسباب رفع الدرجات باستقامة تربيته.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ لَهُ الدَّرَجَةُ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِهِ؟، فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ.[٤]

وعنه أيضا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ "[٥]

الحديث يفيد أن الإنسان إذا مات انقطع عنه عمله، أي لا يمكن له العمل بنفسه. ولكن العمل الصالح إذا دام وبورك فيه فهو غير منقطع حتى بعد موته، ويكتب له أجره ويصل إليه ثوابه. والنبي ﷺ ذكر من هذا النوع ثلاثة أعمال على سبيل المثال لا الحصر، وعلى هذا فما جاء ذكره في أحاديث أخرى من غير هذه الثلاثة فهو راجع إليها ومندرج تحتها.[٦]

في الجاهلية قبل الإسلام كان الناس يكرهون البنات، حتى يسود وجه أحدهم إذا بشر بولادة البنت، ولكن الإسلام دين الرحمة بشر بالرحمة على كفالة البنات من خلال أحاديث الرسول ﷺ.

---

[٤]- أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٧٤)، وابن ماجه (٣٦٦٠)، وحسنه شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند.

[٥]- أخرجه مسلم (١٦٣١).

[٦]- شرح صحيح مسلم بأردو ج ٣، ص ٣٩٨-٣٩٩.

فعَنْ عَائِشَةَ أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ، فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»[٧]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ» وَضَمَّ أَصَابِعَهُ.[٨]

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في شرح هذا الحديث: (والمعنى: أنه يكون رفيقا لرسول الله ﷺ في الجنة إذا عال الجاريتين، يعني: الأنثيين من بنات أو أخوات أو غيرهما، أي: أنه يكون مع النبي ﷺ في الجنة).[٩]

ويروي كذلك أبو سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ، فَأَدَّبَهُنَّ، وَزَوَّجَهُنَّ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، فَلَهُ الْجَنَّة))[١٠]

مما سبق من الأدلة يتضح جليا أن تربية الأولاد تثمر في الدنيا بالبر والإحسان وفي الآخرة بالدرجة الرفيعة ودخول الجنة والقرب فيها من النبي ﷺ، والنجاة من النار.

---

[٧]- أخرجه البخاري:(١٤١٨) ومسلم (٢٦٢٩).

[٨]- أخرجه مسلم (٢٦٣١)

[٩]- شرح صحيح مسلم لابن عثيمين، (٤٧٥/٧).

[١٠]- رواه أبو داود (٥١٤٧).

الباب الثاني

الفصل الأول:

الذكر الجميل لأمهات القادة من السلف

وفيما يلي ذكر عدد من الأمهات العظائم من السلف ، اللاتي أنجبن بفضل من الله ثم بتربيتهن العلمية المجلية للبصيرة نجومًا لامعة على سماء العلم والفضل ، تنير الأرض بأنوارها الساطعة.

أم أنس بن مالك رضي الله عنهما

وهي أم سليم بنت ملحان الأنصارية. واختلف في اسمها فقيل: سهلة، وقيل: رميلة، وقيل: رميثة، وقيل: مليكة، والغميصاء، والرميصاء.[11]

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ سُلَيْمٍ أَنَّهَا آمَنَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ. قَالَتْ: فَجَاءَ أَبُو أَنَسٍ وَكَانَ غَائِبًا فَقَالَ: أَصَبَوْتِ؟ قَالَتْ: مَا صَبَوْتُ وَلَكِنِّي آمَنْتُ بِهَذَا الرَّجُلِ. قَالَتْ: **فَجَعَلَتْ تُلَقِّنُ أَنَسًا وَتُشِيرُ إِلَيْهِ قُلْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ. قُلْ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ**. قَالَ: فَفَعَلَ. قَالَ: فَيَقُولُ لَهَا أَبُوهُ: لا تُفْسِدِي عَلَيَّ ابْنِي. فَتَقُولُ: إِنِّي لا أفسده. قَالَ: فَخَرَجَ مَالِك أبو أنس؛ فلقيه عدو؛ فقتله. فلما بَلَغَهَا قَتْلُهُ قَالَتْ: لا جَرَمَ، *–أي أربيه الآن وفق الشريعة الإسلامية {١} ولا يمنعني أحد–* لا أَفْطِمُ أَنَسًا حَتَّى يَدَعَ الثَّدْيَ حَيًّا وَلا أَتَزَوَّجُ حَتَّى يَأْمُرَنِي أَنَسٌ.[12]

كانت السيدة أم سليم امرأة عاقلة وفهيمة، ربت ابنها أنس بن مالك فأحسنت تربيته، حتى عد من أشهر تلاميذها. وكانت حريصة للغاية على تربية ابنها، فوقفته لخدمة النبي ﷺ{٢} لطيلة حياته؛ ليتربى، ويتأدب، ويتعلم على يد أفضل الخلق وخير المعلمين وإمام المربين محمد ﷺ.

يقول أنس: جَاءَتْ بِي أُمِّي أُمُّ أَنَسٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عليه وسلم، وَقَدْ أَزَّرَتْنِي بِنِصْفِ خِمَارِهَا، وردتني بِنِصْفِهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، *هَذَا أُنَيْسٌ ابْنِي، أَتَيْتُكَ بِهِ يَخْدُمُكَ؛ فَادع اللهَ لَهُ. فَقَالَ: ((اللهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَده)) قَالَ أَنَسٌ: فَوَاللهِ إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُّونَ عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ، الْيَوْمَ.*[13]

---

[11] – أسد الغابة: (٣٤٥/٦).

[12] – الطبقات الكبرى: (٨/ ٣١٢-٣١٣).

[13] – أخرجه مسلم:(٢٤٨١).

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ،: مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعَتْ أُمِّي، أُمُّ سُلَيْمٍ صَوْتَهُ، فَقَالَتْ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ أُنَيْسٌ، ((فَدَعَا لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَلَاثَ دَعَوَات)) قَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَرْجُو الثَّالِثَةَ فِي الْآخِرَةِ.[١٤]

السيدة أم أنس ـ كغيرها من الأمهات ـ لم تكن تترك فرصة لطلب الدعاء لولده من النبي ﷺ، فبطلبها دعا لأنس ﷺ مرات عديدة بسعادة الدنيا والآخرة. وفي كل مرة دعا له بالبركة في ماله وولده، واستجاب الله له في ذلك، فتيقن أن دعاءه في أمر الآخرة سوف يستجاب.[١٥]

وأثمرت تربية أم سليم؛ فصار ابنها شخصية علمية كبيرة، ومتبعا للنبي ﷺ في جميع شؤون الحياة.

وكانت تستثمر كل صغير وكبير في تربية ولدها، *فوصته كذلك بالحفاظ على سر رسول الله ﷺ وعدم إفشاءه للناس.* يروي ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا. قَالَ أَنَسٌ: وَاللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ.[١٦]

فمن ثمرات هذه التربية: أن أنس بن مالك أصبح أمينا على سر رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقد روى عنه ٢٢٨٦ حديثا، اتَّفَقَ لَهُ البُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ عَلَى ١٨٠ حَدِيْثاً. وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ: بِ ٨٠ حَدِيْثاً، وَمُسْلِمٌ: ب ٩٠.[١٧]

---

[١٤]- أخرجه مسلم (٢٤٨١).

[١٥]- شرح صحيح مسلم بأردو: (٤/٦٤٠).

[١٦]- أخرجه مسلم: (٢٤٨٢).

[١٧]- سير أعلام النبلاء: (٣/٤٠٦).

وأما الجانب العلمي من شخصيته، فقد أوتي حظا كبيرا من العمل بالعلم، والاتباع للنبي ﷺ. يقول أبو هريرة رضي الله عنه : (ما رأيت أحدا أشبه بصلاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من ابن أم سليم) – يعني أنسا. وقال أنس بن سيرين : (كان أنس بن مالك أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر[١٨] {٣}

قال الإمام الذهبي رحمه الله: (فصحب أنس نبيه – ﷺ – أتم الصحبة ، ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر، وإلى أن مات، وغزا معه غير مرة، وبايع تحت الشجرة.)[١٩]

وكان ممن اتصف بمكارم الأخلاق وجلائل الصفات. فذات يوم جاء قيم أرضه، فقال: عطشت أرضوك، فتردى أنس، ثم خرج إلى البرية، ثم صلى، ودعا؛ فثارت سحابة، وغشيت أرضه، ومطرت.[٢٠]

يتأكد مما مضى: أن نشأة أنس بن مالك العلمية والإسلامية إنما ترجع – بعد عون الله وتوفيقه – إلى حرص أمه واجتهادها في التربية، *فلا يزال كوكبا متألئا على سماء العلم ما بقيت الدنيا.*

{١} فائدة : هذه الأم ربته على الشريعة الإسلامية ، بتعاليمه الشاملة ، وهذا مما يجب على كل أم أن تعتني بابنها بتعاليم الإسلام من عبادة وادب واخلاق وتطبيقها عمليا .

{٢} فائدة : عرضت الأم أبنها على النبي عليه الصلاة والسلام بخدمته ومرافقته؛ لكي يستفيد منه ويتربى تحت يده ، فعلى الأم أختيار الرفقة الصالحه لأبنائها .

{٣} فائدة : عناية أنس رضي الله عنه بصلاته، سواء كان بالسفر أو الحضر، بعدم الأستعجال أو يقصر فيها من السنن وغيرها .

[١٨]– سير أعلام النبلاء: (٤٠٠/٣).
[١٩]– سير أعلام النبلاء: (٣٩٧/٣).
[٢٠]– الطبقات الكبرى: (١٦/٧).

أم الإمام أبي حنيفة رحمهما الله

في القرن الأول الهجري كان هناك **شاب تقي يطلب العلم ومتفرغ له**، ولكنه كان فقيرا، وفي يوم من الأيام خرج من بيته من شدة الجوع، ولأنه لم يجد ما يأكله؛ **فانتهى به الطريق إلى أحد البساتين** والتي كانت مليئة بأشجار التفاح، وكان أحد أغصان شجرة منها متدلياً في الطريق. **فحدثته نفسه أن ياكل هذه التفاحة ويسد بها رمقه ولا أحد يراه**، ولن ينقص هذا البستان بسبب تفاحة واحدة، فقطف تفاحة واحدة وجلس يأكلها حتى ذهب جوعه. ولما رجع إلى بيته **بدأت نفسه تلومه –وهذا هو حال المؤمن دائماً–** فجلس يفكر ويقول: كيف أكلت هذه التفاحة وهي مال لمسلم ولم أستأذن منه ولم أستسمحه؟

فذهب يبحث عن صاحب البستان حتى وجده، فقال له الشاب: يا عم، بالأمس بلغ بي الجوع مبلغا عظيما، وأكلت تفاحة من بستانك من دون علمك، وهذا أنا اليوم أستأذنك فيها، فقال له صاحب البستان: والله لا أسامحك؛ بل أنا خصيمك يوم القيامة عند الله. بدأ الشاب المؤمن يبكي، ويتوسل إليه أن يسامحه، وقال له: أنا مستعد أن أعمل أي شيء بشرط أن تسامحني وتحللني. وبدأ يتوسل إلى صاحب البستان، وصاحب البستان لا يزداد إلا إصرارا، وذهب وتركه، والشاب يلحقه ويتوسل إليه حتى دخل بيته، وبقي الشاب عند البيت ينتظر خروجه إلى صلاة العصر. [١]

فلما خرج صاحب البستان وجد الشاب لا زال واقفاً ودموعه التي تحدرت على لحيته، فزادت وجهه نورا غير نور الطاعة والعلم، فقال الشاب لصاحب البستان: يا عم، إنني مستعد للعمل فلاحاً في هذا البستان من دون أجر باقي عمري أو أي أمر تريد ولكن بشرط أن تسامحني عندها. أطرق صاحب البستان يفكر، ثم قال: يا بني إنني مستعد أن أسامحك الآن، لكن بشرط. فرح الشاب وتهلل وجهه بالفرح وقال: اشترط ما بدا لك ياعم، فقال

صاحب البستان: شرطي هو أن تتزوج ابنتي. صدم الشاب من هذا الجواب وذهل ولم يستوعب بعد هذا الشرط، ثم أكمل صاحب البستان قوله. ولكن يا بني، اعلم أن ابنتي عمياء، وصماء، وبكماء، وأيضاً مقعدة، لا تمشي. ومنذ زمن وأنا أبحث لها عن زوج أستأمنه عليها ويقبلها بجميع مواصفاتها التي ذكرتها، فإن وافقت عليها سامحتك.

صدم الشاب مرة أخرى بهذه المصيبة الثانية، وبدأ يفكر كيف يعيش مع هذه العلة خصوصاً أنه لازال في مقتبل العمر؟ وكيف تقوم بشؤونه وترعى بيته وتهتم به وهي بهذه العاهات؟ بدأ يحسبها ويقول أصبر عليها في الدنيا ولكن أنجو من ورطة التفاحة، ثم توجه إلى صاحب البستان، وقال له: يا عم، لقد قبلت ابنتك، وأسال الله أن يجازيني على نيتي، وأن يعوضني خيراً مما أصابني. فقال صاحب البستان: حسناً يا بني، موعدك الخميس القادم عندي في البيت لوليمة زواجك، وأنا أتكفل لك بمهرها.

فلما كان يوم الخميس؛ جاء هذا الشاب متثاقل الخطى، حزين الفؤاد، منكسر الخاطر، ليس كأي زوج ذاهب إلى يوم عرسه. فلما طرق الباب فتح له أبوها وأدخله البيت، وبعد أن تجاذبا أطراف الحديث قال له: يا بني، تفضل بالدخول على زوجتك، وبارك الله لكما وعليكما وجمع بينكما في خير، وأخذ بيده وذهب به إلى الغرفة التي فيها ابنته. فلما فتح الباب ورآها؛ فاذا فتاة بيضاء أجمل من القمر، قد انسدل شعرها كالحرير على كتفيها؛ فقامت ومشت إليه، فإذا هي ممشوقة القوام، وسلمت عليه وقالت: السلام عليك يا زوجي، أما صاحبنا فهو قد وقف في مكانه يتأملها، وكأنه أمام حورية من حوريات الجنة، نزلت إلى الأرض وهو لا يصدق ما يرى، ولا يعلم ما الذي حدث، ولماذا قال أبوها ذلك الكلام؟ ففهمت ما يدور في باله؛ فذهبت إليه، وصافحته، وقبلت يده، **وقالت: إنني عمياء من النظر إلى الحرام، وبكماء من التكلم في الحرام، وصماء من الاستماع إلى الحرام، ولا تخطو رجلاي خطوة إلى الحرام، وإنني وحيدة أبي. ومنذ عدة سنوات وأبي يبحث لي عن زوج صالح. فلما أتيته تستأذنه في تفاحة، وتبكي من أجلها قال أبي: إن من يخاف من**

أكل تفاحة لا تحل له، حري به أن يخاف الله في ابنتي؛ فهنيئا لي بك زوجاً وهنيئاً لأبي بنسبك.

وبعد عام أنجبت هذه الفتاة من هذا الشاب غلاماً كان من القلائل الذين مروا على هذه الأمة. أتدرون من ذلك الغلام؟ إنه الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، صاحب المذهب الفقهي المشهور. ولد في أواخر عهد الصحابة وصار من أعلام الأمة.[٢١]

هذا هو الإمام الذي شهد بذكائه، وفطنته، وفضله، وورعه: يزيد بن هارون -- رحمه الله – فيقول: (أدركت الناس فما رأيت أحدا أعقل، ولا أفضل، ولا أروع من أبي حنيفة.)[٢٢]

إن من وراء تربية الإمام أبي حنيفة دور أمه الكبير، فلا يتوقع غير ذلك من مثلها. وقد أفرد العلماء كتبا ومؤلفات بمناقب الإمام أبي حنيفة؛ فليرجع إليها للاستزادة.

توفي الإمام في شهر رجب سنة ١٥٠ هـ فرحمه الله رحمة واسعة.[٢٣]

{١} فائدة : على ما في القصة مقال ، ولكن نذكر مفادها ، كانت الأم على مثل ذلك. أولا : صلاح الزوج. ثانيا : زهد الزوج وتقواه ، وهذا مما يوجب على الفتاة اختيار الزوج المناسب.

{٢} فائدة : والأم في تحصنها من المحرمات ، كالنظر والكلام والسماع والمشي الى الحرام ، فكانت على هذه الصفات ، فأخرج الله هذا الأمام حتى قيل عن الأمام أبو حنيفة

---

[٢١]– اقتبست القصة من موقع الشيخ نبيل العوضي (طريق الإسلام). وانظر أيضا على الموقع: https://theauthenticbase.wordpress.com بعنوان: One apple leads to his marriage

[٢٢]– تاريخ بغداد: (١٣/٣٦١).

[٢٣]– تاريخ بغداد: (١٣/٤٢٤). وقد جمع فيه الخطيب البغدادي مرويات وأقوال الرجال عن الإمام أبي حنيفة وكتب عنه بالتفصيل حول مئة صفحة ما بين (٣٢٤-٤٢٦).

أخطأ عندما يتكلم، فيقول أتوقع أن سبب ذلك أنه من حليب المرأة التي أرضعته وهي مما تتكلم بأعراض الناس .

أم الإمام مالك رحمهما الله

وهي العالية بنت ابن بكار شريك بن عبد الرحمان بن عبد الرحمان بن شريك الأزدية.[٢٤]

بدأ الإمام مالك طلب الحديث من صغر سنه، *فإن أسرته كانت أسرة العلم والدين،* ووطنه – المدينة النبوية – كانت فيه العناية البالغة برواية الحديث ودرايته. وبالإضافة إلى ذلك **فأمه أدت دورا كبيرا في إبراز شخصيته العلمية**. وذلك يظهر مما يلي:

قال الإمام مالك: (قلت لأمي: أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال؛ فالبس ثياب العلم. فألبستني ثياباً مشمرة، ووضعت الطويلة على رأسي، وعممتني فوقها، ثم قالت: اذهب فاكتب الآن . {١}

وقال رحمه الله: (كانت أمي تعممني وتقول لي: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه)[٢٥]. *{٢}*

وقد أثمرت تربيتها الجميلة لابنها؛ فأصبح الإمام مالك شجرة شامخة في بستان العلم والفضل. ويعرف مدى جلالة شأنه، وعظيم قدره، وإمامته في الحديث، ورسوخه في العلم من خلال أقوال العلماء التالية:

قال ابن عينية: (ما رأيت أحداً أجود أخذاً للعلم من مالك.)[٢٦]

وقال ابن المديني: (لا أعلم أحداً يقوم مقام مالك في ذلك) أي في انتقاد الرجال.[٢٧] وقال يحيى بن سعيد القطان: ما في القوم أصح حديثا من مالك. يعني الأوزاعي والسفيانيين[٢٨] .

---

[٢٤]– ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ١٣٠).

[٢٥]– ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ١٣٠).

[٢٦]– ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ١٣٨).

إن الإمام مالك من كبار الأئمة في الحديث، وكتابه الخالد في السنة والآثار (الموطأ) يشهد بذلك. وكما له يد في العلم فقد أوتي حظا كبيرا من البصيرة منذ صغر سنه. واقرأ هذه الرواية إن شئت:

قال أبو الحسن المطالبي: (سأل مالكاً صفوان بن سليم -وهو أحد شيوخ مالك الأجلة الفضلاء النقاد- عن رؤيا رآها في النوم، ومالك إذ ذاك غلام صغير السن، فقال له: ومثلك يسأل مثلي؟ فقال له: وما عليك يا ابن أخي، رأيت كأني أنظر في مرآة. فقال له مالك: أنت تنظر في أمر آخرتك وما يقربك إلى ربك. فقال له صفوان: أنت اليوم مويلك، ولئن بقيت؛ لتكونن مالكاً. اتق الله يا مالك؛ إذا كنت مالك، وإلا فأنت هالك.[٢٩]

{١} فائدة : من هذه الأم أن هيئت أبنها بلباس جميل وعممته؛ لكي يتهيأ لطلب العلم ، ويقول أحد المعلمين: (نزداد احتراما لمثل هذا الطالب بعكس المهمل).

{٢} فائدة : أوصته أن يتعلم من أدب الشيخ قبل علمه.

---

[٢٧]- ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ١٣٨).

[٢٨]- ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/١٥٥).

[٢٩]- ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ١٤٤-١٤٥).

أم الإمام أحمد رحمهما الله

واسمها صفية بنت مَيمونة بنت عبد الملك الشيباني.

الإمام أحمد أصله من مرو، ولكن والده هاجر منها إلى بغداد في حدود سنة ١٦٤ هـ، وكان في بطن أمه. ولد في شهر رجب سنة ١٦٤هـ ولم يلبث أن مات والده ببغداد. قال صالح: (وجيء به حملاً من مَرْوَ، وتوفي أَبو أَحمد بن حنبل وله ثلاثون سنة؛ فوَلِيَته أُمه.) كان عمر أبي أحمد ثلاثين سنة ثم مات وأحمد طفل.[٣٠]

اهتمت أمه بتربية ولده وتعليمه، وكان الولد يتعامل مع أمه بكل أدب واحترام. يقول الإمام أحمد: (لو كان عندي خمسون درهماً كنت قد خرجت إلى الرَّي، إلى جَرير بن عبد الحميد، فخرج بعض أَصحابنا ولم يمكني الخروج، لأنه لم يكن عندي شيء.)[٣١]

وإذا خرج في ظلام الليل لسماع الحديث منعته أمه شفقة عليه ورحمة. يقول الإمام أحمد: *(كنتُ ربما أَردتُ البكور في الحديث؛ فتأخذ أُمي بثيابي وتقول: حتى يؤذن الناس، أو حتى يُصبحوا. وكنت ربما بَكرت إلى مجلس أبي بكر بن عياش وغيره).*[٣٢]

لحق بالكتاب للابتدائية، واعترف بشرفه، ونجابته، وصلاحه وهو طفل.

قال أَبو بكر المروذي: قال لي أَبو عفيف- وذكر أَبا عبد الله أحمد بن حنبل- : كان في الكتّاب معنا وهو غليم نَعرف فضله، وكان الخليفة بالرقة، فيكتب الناس إلى منازلهم الكتب، فيبعث نساؤهم إلى المعلم: ابعث إلينا بأحمد بن حنبل، ليكتب لهم جواب كتبهم، فيبعثه، فكان يجيء إليهن مطأطئ الرأس، فيكتب جواب كتبهم، فربما أَملين عليه الشيءَ من المنكر، فلا يكتبه لهن.

٣٠- مناقب الإمام أحمد:(٢١).

٣١- مناقب الإمام أحمد:(١٤).

٣٢- مناقب الإمام أحمد:(٣١).

قال أبو المنَبّه: أول شيءٍ عُرف من أحمد بن حنبل: أن عمه كتب جواب كتاب بعث به السلطان، فدفعه إلى أحمد بن حنبل يدفعه إلى الرسول، فلم يدفعه أَحمد إليه، ووضعه في طاقٍ في منزلهم، وطلب الرسول الجواب. فقال عمه: قد وجهت به إليك. ثم قال لأَحمد: أَين الكتاب الذي أَمرتك أن تدفعه إلى الرسول على الباب؟ فقال له: كان عليه قَباء، وهو ذا الكتاب في الطاق.

قال داود بن بسطام: أَبطأتْ عليَّ أخبار بغداد، فوجهت إلى عم أبي عبد الله بن حنبل: لم تصل إلينا الأخبار اليوم، وكنت أُريد أَن أحرّرها وأوصِلها إلى الخليفة. فقال لي: قد بعثت بها مع أحمد ابن أخي. قال: فبعث عمه، فأحضر أبا عبد الله وهو غلام. فقال: أَليسَ بعثتُ معك الأَخبار؟ قال: نعم، قال: فلأَي شيءٍ لم توصلها؟ قال: أنا كنتُ أَرفع تلك الأخبار؟ رميتُ بها في الماءِ. قال: فجعل ابن بسطام يسترجع ويقول: هذا غلام يتورَّع، فكيف نحن.[٣٣]

إن العناية الخاصة من أم الإمام أحمد بتربية ابنه ساعدته على وضاءة مقتبل حياته، فبقي على ألسنة الناس باسم (إمام أهل السنة) ولا يزال كذلك – إن شاء الله– إلى يوم القيامة. ويتجلى مناقبه في قول الشافعي رحمه الله حيث يقول: (أَحْمَد إمام فِي ثمان خصال: إمام فِي الحديث، إمام فِي الفقه، إمام فِي اللغة، إمام فِي القرآن، إمام فِي الفقر، إمام فِي الزهد، إمام فِي الورع، إمام فِي السنة.)[٣٤]

فليس اليوم ببعيد أن تنجب الأمهات أجلة الفضلاء، وأئمة العلماء، وعبقريات في العلم والأدب؛ إذا قمن بتربية أولادهن على المنهج التربوي لدى أمهات السلف.

[٣٣]– مناقب الإمام أحمد: (٢٢–٢٤).

[٣٤]– طبقات الحنابلة: (١/٥).

أم الإمام الشافعي رحمهما الله

وهي فاطمة بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب.[35] ولما أن حملت أم الشافعي به؛ رأت كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقض بمصر؛ ثم وقع في كل بلد منه شظية. فتأول أصحاب الرؤيا أنه يخرج عالم يخص علمه أهل مصر؛ ثم يتفرق في سائر البلدان.[36] قال الشافعي: (ولدت بغزة سنة ٥ وحملت إلى مكة وأنا بن سنتين.)[37]

أم الإمام الشافعي كانت بمكان من الذكاء، والفطانة، والحذاقة. أتت بولدها إلى مكة ليرتوي بها من المنهل الصافي؛ منهل الكتاب والسنة. {١}

إن من وراء أمثال الإمام الشافعي دور الأم الكبير، فإن والده توفي وهو صغير، فشدت أمه المئزر لتربية ولده. فمن ثمراته أن الإمام الشافعي أصبح فيما بعد ممن تستفيد الأمة بجهوده الجبارة حتى اليوم. فلما مات والد الشافعي في صغره؛ خرجت به أمه من اليمن إلى مكة، فبدأ هناك يطلب العلم، ولم يكن لديه ما ينفق على نفسه في سبيل العلم، فإنه كان يتيما وقليل المال. فهو يحكي عن نفسه ويقول: (كنت يتيما في حجر أمي، ولم يكن لها ما تعطيني للمعلم، وكان المعلم قد رضي مني أن أقوم على الصبيان إذا غاب، وأخفف عنه.)[38]

ولم يجد القرطاس للكتابة، فكان يكتب في الأكتاف والعظام، ويحفظها في الحقيبة. وفي الليل لم يسرج السراج، فكان يذهب إلى الديوان، ويكتب في نوره.[39]

بدأ رحلته لطلب العلم من مكة في الكتاب، وتعلم في نفس الوقت الرمي والفروسية، وبرع في العربية وأشعار العرب في بني هذيل، ثم أخذ يطلب العلم في المدينة. سمع الحديث من مُحَمَّد بن شافع ومسلم بن خالد الزنجي وغيرهما.[40]

---

[35]- تهذيب التهذيب: (٢٩/٩).

[36]- تهذيب التهذيب: (٢٦/٩)، وتاريخ بغداد: (٥٧/٢).

[37]- تهذيب التهذيب: (٢٦/٩). وهذه الرواية أشهر. وفي رواية أخرى: (ولدت بعسقلان، فلما أتى علي سنتان؛ حملتني أمي إلى مكة.) وفي رواية: (ولدت باليمن؛ فخافت علي أمي الضيعة فقالت: الحق بأهلك، فجهزتني إلى مكة، فقدمتها وأنا يومئذ بن عشر).

[38]- سير أعلام النبلاء: (١١/١٠).

[39]- سير أعلام النبلاء: (١١/١٠)، وتاريخ بغداد: (٥٧/٢).

يقول الإمام الشافعي: (حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين ، وحفظت " الموطأ " وأنا ابن عشر)[41]

مع وجود الفقر، وعسرة الحال ركزت أم الشافعي كل الجهد والطاقة على تعليم الإمام وتربيته، فاشتهر الشافعي في عالم العلم، وميدان الفضل إماما جليلا، وفقيها عظيما، وشاعرا بليغا، وعربيا قحا. ويرجع هذا الفضل كله -بعد الله- إلى أمه العظيمة. فرحمهما الله رحمة واسعة.

وكفى بعظم رتبة الشافعي، وطول باعه في العلم ما قال عنه الإمام أحمد رحمه الله: (هذا الذي ترون كله أو عامته من الشافعي، وما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو الله للشافعي).[42]

فرحمة الله على الإمام الشافعي وأمه.

{١} هذه الأم انتقلت بعد وفاة زوجها الى مكة؛ لكي يتعلم ويرتوي بها من المنهل الصافي، وهذا سبب -بعد الله- في صلاح الأبناء، الانتقال الى أماكن التعليم والتربية.

---

[40]- سيرة الإئمة الأربعة بأردو (١٤٣).

[41]- تهذيب التهذيب (٢٧/٩).

[42]- تهذيب التهذيب: (٢٧/٩).

أم الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمهما الله

وهي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. ولد عمر بن عبد العزيز سنة ٦٣ هـ.[٤٣]

أم عاصم من النساء العظام في زمانها، حليمة الطبع، طاهرة الخصال، سبقت في البر والعفة والإحسان، من أهل الحديث والفقه.

كان زوجها عبد العزيز بن مروان واليا على مصر، وكانت أم عاصم في المدينة المنورة حينما ولدت عمر. فلما كبر يسيرا؛ كتب أبوه إلى أم عاصم: أن ائتي به إلى مصر. ذهبت إلى عمها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وأخبرته بكتاب زوجها. فقال: اذهبي أنت، واتركي عمر، فنقوم بتربيته على أحسن حال. وصار كما قال.

قدمت مصر، وما كان معها الطفل، فلما رآها زوجها، أصابه القلق، وسأل: أين عمر؟ فقالت: حبسه عمي عبد الله بن عمر؛ ليقوم بتربيته على أحسن طريقة، وأفضل حال. ففرح بذلك جدا وقال: أحسنت. المدينة خير من مصر لتعليمه وتربيته.

أم عاصم بنت عاصم حفيدة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كانت عالية النسب، ورفيعة الذات. ها هي المرأة السعيدة التي شرفها الله بأمومة عمر بن عبد العزيز رحمه الله. روت الحديث عن عدد من الصحابة، وعن أبيها عاصم، وروى عنها عدد كبير من بينهم ابنه عمر ين عبد العزيز الذي توفي في رجب سنة ١٠١ هـ وعمره ٣٩ سنة . {١}

أم عاصم بنت عاصم عظيمة الخلق، ورحيمة بالخلق. روي: أنها لم تؤذ أحدا قط. وكانت ناصحة للجميع، ليس لها مثيل في عظمة السلوك، ولا نظير في توافق القول والعمل، ومن عادتها مساعدة الناس، وإعانة أهل الحاجة والمساكين. وليس لها مقابل في الجرأة والبسالة، وبما أن دم الفاروق يجري في عروقها فأثر ذلك في كل أعمالها ونشاطاتها . {٢}

توفيت —رحمها الله— عند زوجها عبد العزيز بن مروان. كانت مرأة نجيبة الطرفين، فأهل أمها عظماء الناس وخيارهم كما كان زوجها رفيع الشأن عظيم القدر، ومع هذا فقد

[٤٣]- سير أعلام النبلاء: (١١٥/٥).

وهبها الله ولدا رزق كثيرا من المهارات المهمة والنادرة. وإضافة إلى ذلك فقد كانت من تقوى القلب، وتزكية النفس بمكان لا يدعيه أحد لنفسه، فسعدت بإكرام الله وإنعامه عليها.[٤٤]

أيها القارئ الكريم، فما ظنك بمثل هذه المرأة؟ غير أنها قامت بتربية ولدها على طريق أهل العلم والفضل، تحملت فراق ولدها ، فتركته في رعاية عمه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لمدة طويلة، إن ذلك لمن شأن الأم العظيمة عالية الهمة، فيبدو من وراء بناء شخصية عمر بن عبد العزيز دور أمه الكبير.

وإليكم زبدة ما قال عنه العلماء :

قال الإمام الذهبي: (وكان من أئمة الاجتهاد ، ومن الخلفاء الراشدين. رحمة الله عليه.)[٤٥]

يقول ابن سعد: (وكان ثقة مأمونا، له فقه وعلم وورع، وروى حديثا كثيرا، وكان إمام عدل. رحمه الله ورضي عنه.)[٤٦]

إن قصص الإمام عمر بن عبد العزيز في التقوى، والورع، والزهد، مشهورة جدا. إن والديه أديا دورا بارزا في بناء أدبه، وعلمه، وخلقه. رحمة الله عليهم أجمعين .

قصة جدة أم عاصم:

وهناك قصة اشتهرت على ألسنة الناس عن جدة أم عاصم، لا يخلو ذكرها من فائدة، فأذكرها من باب الإفادة، ونتبعها أقوال العلماء في رجال سندها :

عَن أسلم قَالَ: بَيْنَمَا أَنا مَعَ عمر بن الْخطاب رَضِي الله عَنهُ وَهُوَ يعس بِالْمَدِينَةِ؛ إِذْ أعيا؛ فاتكأ على جَانب جِدَار فِي جَوف اللَّيْل؛ فَإِذا امْرَأَة تَقول لابنتها: يَا بنتاه، قومِي إِلَى ذَلِك اللَّبن؛ فامذقيه بِالْمَاءِ. فَقَالَت لَهَا: يَا أمتاه، أَو مَا علمت مَا كَانَ من عَزمَة أَمِير الْمُؤمنِينَ الْيَوْم؟ قَالَت: وَمَا كَانَ من عزمته؟ يَا بنية، قَالَت: إِنَّه أَمر مناديا؛ فَنَادَى أَن لَا

[٤٤]- اسلام کی بیٹیاں (بنات الإسلام):(٤٢٩-٤٣١).

[٤٥]- سير أعلام النبلاء: (١١٤/٥).

[٤٦]- الطبقات الكبرى: (٣٢٠/٥).

يشاب اللَّبن بِالْمَاءِ. فَقَالَت لَهَا: يَا بنتاه، قومِي الى اللَّبن؛ فامذقيه بِالْمَاءِ؛ فَإِنَّك بِموضع لَا يراك عمر وَلَا مُنَادِي عمر. فَقَالَت الصبية لأمها: يَا أمتاه، وَالله مَا كنت لأطيعه فِي الملا وأعصيه فِي الخلا. وَعمر يسمع كل ذَلِك فَقَالَ: يَا أسلم، علم الْبَاب، واعرف الْموضع، ثمَّ مضى فِي عسسه. فَلَمَّا أصبح قَالَ: يَا أسلم، امْضِ إِلَى الْموضع؛ فَانْظُر من القائلة؟ وَمن الْمَقُول لَهَا؟ وَهل لَهُم من بعل؟ فَأتيت الْموضع فَنَظَرت. فَإِذا الْجَارِيَة أيم لَا بعل لَهَا، وَإِذا تيك أمهَا، وَإِذا لَيْسَ لَهَا رجل، فَأتيت عمر بن الْخطاب؛ فَأَخْبَرته؛ فَدَعَا عمر وَلَده؛ فَجَمعهُمْ؛ فَقَالَ: هَل فِيكُم من يحْتَاج الى امْرَأَة أزوجه؟ وَلَو كَانَ بأبيكم حَرَكَة إِلَى النِّسَاء مَا سبقه مِنْكُم أحد إِلَى هَذِه الْجَارِيَة، فَقَالَ عبد الله: لي زَوْجَة، وَقَالَ عبد الرحمن: لي زَوْجَة، وَقَالَ عَاصِم: يَا أبتاه، لَا زَوْجَة لي؛ فَزَوجنِي. فَبعث إِلَى الْجَارِيَة؛ فَزَوجهَا من عَاصِم؛ فَولدت لعاصم بِنْتا، وَولدت الْبِنْت ابْنة، وَولدت الِابْنَة عمر بن عبد العزيز رَحمَه الله .

رواها الآجري في أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز (٤٨-٤٩) عن طريق مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين قَالَ: أَخْبرنِي أبي قَالَ حَدثنَا عبد الله بن زيد بن أسلم عَن أَبِيه عَن جده أسلم. وسنده ضعيف، فإن فيه عبد الله بن زيد بن أسلم، وقد ضعفه اين معين، وابن المديني، والجوزجاني، وأبوزرعة، وابن حجر. قال ابن عدي: (ضعيف يكتب حديثه.) وقال النسائي: (لَيْسَ بِالْقَوِيّ.) وقال ابن حبان: (كَانَ شَيخا، صَالحا، كثير الْخَطَأ، فَاحش الْوَهم؛ يَأْتِي بالأشياء عَن الثِّقَات الَّتِي إِذا سَمعهَا المبتدىء فِي هَذِه الصِّنَاعَة؛ شهد عَلَيْهَا بِالْوَضْعِ.) وإنما أنكر ابن معين عليه لأجل أخبار عمر بن عبد العزيز.[٤٧]

المراجع: انظر: الضعفاء لابن الجوزي (١٢٣/٢)، وتهذيب الكمال (٥٣٥/١٤)، وتهذيب التهذيب (١٩٥/٥، ٢٥٣)، وتقريب التهذيب (٣٠٤،٣١٠)، ورواها كذلك ابن الجوزي في تاريخ عمر بن الخطاب (١٠٣).

{١} فائدة : في صلاح الأم صلاح أبنائها.

[٤٧]- مشہور واقعات کی حقیقت (تاريخ الوقائع المشهورة) : (١٣٤-١٣٦).

{٢} فائدة : الخلق والرحمة والنصيحه والصدقة ، هذا مما له أثر في سلوك الأبن.

أم الإمام البخاري رحمهما الله

كانت أم أمير المؤمنين في الحديث، إمام المحدثين، عَلَم السنة النبوية، الإمام مُحَّد بن إسماعيل البخاري امرأة ذات عبادة وصلاح في الدين . {١}

وَمَات والده إِسْمَاعِيل وَهو صَغِير؛ فتكفلت به أمه، وكان قد ذهب بصره في صباه، فشق ذلك عليها، *وكانت والدة متعبدة تقية؛ فألحت في الدعاء وتضرعت*؛ فرأت الْخَلِيل إِبْرَاهِيم فِي الْمَنَام؛ فَقَالَ لَهَا: يَا هَذِه، قد رد الله على ابْنك بَصَره بِكَثْرَة دعائك.[٤٨]

يقول أبو جعفر مُحَّد بن أبي حاتم الوراق النحوي: قلت لأبي عبد الله مُحَّد بن إسماعيل البخاري: كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟ قَالَ: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكُتّاب. قَالَ: وكم أتى عليك إذ ذاك؟ قال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر؛ فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره.

وَقَالَ يوما: فيما كان يقرأ للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم. فقلت له يا أبا فلان، إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم. فانتهرني. فقلت له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك، فدخل، ونظر فيه؛ ثم خرج، فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي بن إبراهيم. فأخذ القلم مني وأحكم كتابه فقال صدقت. فقال له بعض أصحابه ابن كم كنت إذ رددت عليه؟ فقال ابن إحدى عشرة.[٤٩]

إن من وراء تربية هذا اليتيم يكمن دور أمه الكبير. فمما مضى يعرف مدى فضل أمه، وعلو همتها، وعزيمتها، وحرصها على تربية ولدها مُحَّد تربية علمية دينية، حتى ألحقته بالمدرسة إلى أن بلغ عشر سنين.

---

[٤٨]- انظر: هدي الساري مقدمة فتح الباري: (٤٧٧-٤٧٨) وسيرة البخاري: (٤) -علما بأن القصة لم تثبت صحتها. انظر: حقيقة القصص المشهورة (أردو): (١٨٧-١٨٨) طبع سنة ٢٠١٢ في مدينة سري نغر.-

[٤٩]- تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية (٢/ ٧).

هذا ومما يدل على فضل والدة الإمام البخاري، وقوة إرادتها، وعزيمتها، ورغبتها في تربية الإمام البخاري تربية علمية: أنها اهتمت بإلحاقه إلى الكُتاب حتى بلغ عشرا من عمره.

قال ابن ناصر الدين: (ولما توفي (والده) نشأ ولده أبو عبد الله يتيما في حجر أمه؛ فأسلمته إلى معلم إلى أن كمل له عشر سنين.)[٥٠]

ولما بلغ ست عشرة سنة خرجت به وبأخيه أحمد إلى الحج، ثم رجعت بعد الحج مع أحمد، وتركت الإمام البخاري في مكة لطلب الحديث.[٥١]

فإن من وراء شمس العلم، الإمام البخاري جهود جبارة لوالدته. - رحمة الله عليهما- فإنها ما تركت هذه الأمانة لتضيع، بل قامت بتنسيق تربيتها وتعليمها حق القيام؛ فخلدت هذا السراج؛ سراج العلم والمعرفة منيرا إلى الأبد.

ويدل على سعة علمه وتبحره فيه قوله رحمه الله:

(كتبت عن ألف شيخ وأكثر، وعن كل واحد منهم عشرة آلاف أو أكثر. ما عندي حديث إلا أذكر إسناده.)[٥٢]

ثم آن أن توفي هذا العلم الشامخ للعلم والفضل سنة ٢٥٦ هـ، رحمه الله وغفر له وأسكنه فسيح جناته.

{١} فائدة : ضحت الأم بولدها أن تتركه في مكة لتحصيل العلم.

٥٠- تحفة الإخباري: (١٨٠).

٥١- تاريخ بغداد (٧/٢)، سير أعلام النبلاء (٣٩٣/١٢).

٥٢- سير أعلام النبلاء: (٤٠٧/١٢).

الفصل الثاني

أم الإمام سفيان الثوري رحمهما الله

والدة البحر العميق للعلم والمعرفة، أبي عبد الله سفيان بن سعيد الثوري، *أم سفيان كانت صالحة، حسنة الخلق، عالمة. وحثت ابنه على العلم حثا لا يتأتى إلا من امرأة عالية الهمة، حسنة السيرة.*

فعَنْ وَكِيْعٍ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ سُفْيَانَ لِسُفْيَانَ: *(اذْهبْ، فَاطْلُبِ العِلْمَ، حَتَّى أَعُولَكَ بِمِغْزَلِي، فَإِذَا كَتبتَ عِدَّةَ عَشْرَةِ أَحَادِيْثَ، فَانْظُرْ هَلْ تَجِدُ فِي نَفْسِكَ زِيَادَةً، فَاتَّبِعْهُ، وَإِلاَّ فَلاَ تَتَعَنَّ.)*[٥٣] {١}

إنها لم تقتصر على حثِّ سفيان على طلب العلم فحسب، بل رغبته في أن يكون العلم سببا لتحسين الخلق، وإصلاح العوائد، لا لإفسادها، وأن يكون العلم عبادة لا تجارة. {٢}

وأثمرت جهود والدة سفيان، فأصبح ولده إماما في الفقه، والحديث، والتفسير وعلوم أخرى. يقول الإمام وكيع بن الجراح: (كان سفيان بحرا). وقَالَ الفِرْيَابِيُّ: زَارَنِي ابْنُ المبَارَكِ، فَقَالَ: أَخرجْ إِلَيَّ حَدِيْثَ الثَّوْرِيِّ. فَأَخَرَجْتُهُ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ يَبْكِي حَتَّى أَخضَلَ لِحْيَتَهُ، وَقَالَ: رَحِمَهُ اللهُ، مَا أَرَى أَنِّي أَرَى مِثْلَه أَبَداً.[٥٤]

أسأل الله تعالى أن يوفق الأمهات المسلمات اليوم للسلوك على منهج أمهات السلف التربوي لي نجبن رجالا من أمثال الإمام سفيان الثوري رحمه الله.

{١} فائدة : هذا القائد لم يكن قائدا الا بسبب بعد الله عزوجل ثم عمل الأم بمغزلها لكي يتفرغ الابن لطلب العلم ، ثم حثته على رغبة الابن بالزيادة لكي يواصل هو بنفسه وليس برغبة الوالدين فيكون بقناعته في طلب العلم.

٥٣- سير أعلام النبلاء: (٧/ ٢٦٩).

٥٤- سير أعلام النبلاء: (٧/ ٢٧٠).

{٢} فائدة : وهذا مما يجب علينا عند توجيه الأبناء بان تحصيل العلم والشهادة المقصد منه هو تعليم الناس ورفع الجهل ، واذا كان طبيبا لكي يعالج المرضى وخاصة المحتاجين، والمهندس والتاجر وغيرهم فيكون الأمر ساميا، والرزق مكتوب لك وأنت في بطن الأم.

أم الحسن البصري رحمهما الله

اسمها خيرة، وكانت مولاة لأم المؤمنين أم سلمة المخزومية ﵂. وولد الحسن البصري – رحمه الله– لسنتين بقيتا من خلافة عمر ﵁.

وليس من الصعب تقدير ما حصلت أمه من العلم والأدب في صحبة أم المؤمنين أم سلمة –﵂–، فكأنها تربت في بيت النبي ﷺ. ومكانة الحسن البصري بين أئمة العلماء، وعلو كعبه في العلم والعمل يدل على قيام أمه بحسن تربيته، كما يعرف ذلك كل من قرأ ترجمته في كتب التراجم والطبقات.

كَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ تَبْعَثُ أُمَّ الحَسَنِ فِي الحَاجَةِ، فَيَبْكِي وَهُوَ طِفْلٌ، فَتُسْكِتُهُ أُمُّ سَلَمَةَ بِثَدْيِهَا، وَتُخْرِجُهُ إِلَى أَصْحَابِ رَسُوْلِ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَهُوَ صَغِيْرٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مُنْقَطِعَةً إِلَيْهَا، فَكَانُوا يَدْعُوْنَ لَهُ، *فَأَخْرَجَتْهُ إِلَى عُمَرَ، فَدَعَا لَهُ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ، وَحَبِّبْهُ إِلَى النَّاسِ.*[55] {١}

قال الإمام الذهبي رحمه الله: (كان سيد أهل زمانه علما وعملا.)[56]

تربى في مركز العلم والدين؛ المدينة النبوية، مع عناية خاصة من أمها، فأصبح كوكبا متلألئا للعلم والمعرفة، ينير العالم ما بقيت الدنيا .

ومن وراء تربية هذا الإمام الجليل أيضا عناية أمه الخاصة، وجهدها المركّز. أنزل الله عليه الرحمة والسكينة.

{١} فائدة : كانت أم القائد ملازمة لأم المؤمنين أم سلمة مما كان له أثر على صلاح ابنها.

[55]– سير أعلام النبلاء: (٤/ ٥٦٤–٥٦٥).

[56]– سير أعلام النبلاء: (٥٦٥/٤).

أم إسماعيل بن إبراهيم رحمها الله

وهي علية بنت حسان، والدة المحدث الجليل في القرن الثاني؛ الإمام إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم – رحمهما الله -. وكانت مولاة لبني شيبان في البصرة.

وكان زوجها إبراهيم بن مقسم تاجرا من أهل الكوفة، وكان يقدم البصرة بتجارته فيبيع ويرجع، فتخلف؛ فتزوج علية بنت حسان مولاة لبني شيبان. وكانت امرأة نبيلة، عاقلة، برزة، لها دار بالعوقة تعرف بها. وكان صالح المري وغيره من وجوه البصرة وفقهائها يدخلون عليها، فتبرز لهم، وتحادثهم، وتسائلهم.

فولدت لإبراهيم إسماعيل سنة عشر ومائة، فنسب إليها، وأقام بالبصرة. وولدت لإبراهيم بعد إسماعيل ربعي بن إبراهيم، وكان إسماعيل يكنى أبا بشر، وكان ثقة ثبتا في الحديث حجة.[٥٧]

قامت علية بتعليم ابنها وتربيته أحسن قيام، *فأتت به إلى أئمة الحديث في البصرة للتعليم العالي. يقول عبد الوارث -من علماء الحديث وشيوخ إسماعيل-: (أتتني علية بابنها. فقالت: هذا ابني، يكون معك ويأخذ بأخلاقك. قال: وكان من أجمل غلام بالبصرة)*[٥٨].

وقال إبراهيم الحربي: (فخرج ابن علية وأهل البصرة لا يشكون أنه أثبت من عبد الوارث)[٥٩].

اشتهر الإمام إسماعيل بابن علية نسبة إلى أمه ، لا إلى أبيه. وذلك يرجع إلى اختصاصها بالعلم والفضل، وإلى اجتهادها في تعليم ابنها وتربيته. ونتيجة لذلك أصبح ولدها إسماعيل من حفاظ الحديث.

قال قتيبة بن سعيد: (كانوا يقولون: الحفاظ أربعة؛ إسماعيل بن عليّة، وعبد الوارث، ويزيد ابن زريع، ووهيب).[٦٠] وقال شعبة: (ابن علية سيد المحدثين).[٦١]

[٥٧]- تاريخ بغداد: (٦/ ٢٢٩).

[٥٨]- تاريخ بغداد: (٦/ ٢٣٠).

[٥٩]- تاريخ بغداد: (٦/ ٢٣١).

[٦٠]- تاريخ بغداد: (٦/ ٢٣٣).

[٦١]- تاريخ بغداد : (٦/ ٢٢٩).

ولكن الإمام إسماعيل كره أن يدعى بابن علية فقال: (من قال ابن علية فقد اغتابني).[٦٢] ومع ذلك فشهرته بين أهل العلم بابن علية أكثر، كما مر بيان وجه ذلك.

فقد ظهر أن من وراء نجاح هذا المحدث العظيم، ورقيه العلمي، ومنزلته بين أهل الحديث جهد أمها الخاص. فرحمهما الله رحمة واسعة.

وإلى جانبه العلمي فقد كان نابغا في الورع والزهد والتقوى. قال الإمام علي ابن المديني: (بت عند إسماعيل بن علية ليلة، فكان يقرأ ثلث القرآن، وما رأيته ضحك قط).[٦٣]

توفي يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين ومائة، ودفن يوم الأربعاء ببغداد .[٦٤]

---

[٦٢]- تاريخ بغداد : (٦/ ٢٣٤).

[٦٣]- تاريخ بغداد: (٦/ ٢٣٤).

[٦٤]- تاريخ بغداد: (٦/٢٣٨).

أم أبي عثمان ربيعة الرأي رحمهما الله

هي والدة عالم جليل، حافظ فقيه، محدث عظيم قال عنه علم من أعلام الحديث؛ يحيى بن سعيد: (ما رأيت أحدا أفطن من ربيعة بن أبي عبد الرحمن) .[٦٥] وقال عنه العلامة الخطيب البغدادي -رحمه الله-: (كان فقيها عالما حافظا للفقه والحديث. وَكَانَ قد أدرك بعض أصحاب النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالأكابر من التابعين، وَكَانَ صاحب الفتوى بالمدينة، وَكَانَ يجلس إليه وَجوه الناس بالمدينة.)[٦٦]

هيا نعرف سر نجاحه ، ووصوله إلى القمة في مجال علم الكتاب والسنة:

أم ربيعة تزوجت شابا صالحا من أهل المدينة اسمه فروخ بن عبد الرحمن، وَكَانَ مولى آل الهدير من بني تيم بْن مرة. وذات يوم خرج فِي البعوث إِلَى خراسان أيام بني أمية غازيا، وَربيعة حمل فِي بطن أمه، وَخلف عند زوجته أم رَبِيعَة ثلاثين ألف دينار، *وقال لزوجته: هذا رأس مالي، لا أملك غيره، فاحفظيه. إن ردني الله سالما أتجر فيه، وإن كانت لك حاجة فيه وأنا غائب، فلك قضاءها منه، وإن وهبك الله ولدا ذكرا أو أنثى؛ فقومي بتربيته أحسن تربية.* {١}

وفي ذلك الزمن تتابعت الفتوحات الإسلامية وكثرت، فلم تنته غزوة إلا تلتها غزوة أخرى، فما زال فروخ يشارك فيها حتى انقضى عليه سبع وعشرون سنة، والجهاد شغله عن البيت، وقطع كل العلائق معهم، فلا رجع إليهم، ولا بلغه خبرهم.

وفي الجانب الآخر، بعد خروجه من البيت بأربعة أو خمسة أشهر *وهب الله زوجته غلاما، سمته ربيعة. وكانت عاقلة نبيلة؛* وإن لم تعد لها الحياة تحلو، فهي قامت بتنشئة ابنها تنشئة حسنة. *ولما بلغ رشده اهتمت بتعليمه أفضل ما تطيق، حتى أنفقت على ذلك كل ما ترك زوجها من المال.*

---

[٦٥]- المعرفة والتاريخ: (٦٦٨/١).

[٦٦]- تاريخ بغداد: (٤٢٠/٨).

وكان ربيعة ذكيا، فطنا، مجتهدا في الطلب؛ فحفظ القرآن الكريم في صغر سنه. وفي عدة سنوات برع في التفسير، والحديث، والفقه، والأدب، وغيرها من العلوم؛ حتى اشتهر نبوغه العلمي بين سائر العرب، وشُهِد له بالإمامة ولم يتجاوز عمره ٢٢ سنة، فصار يذكر بين الناس ب (الإمام ربيعة الرأي). وكان يجلس كل يوم في المسجد النبوي للتدريس، فرحل إليه طلاب العلم من قريب وبعيد؛ وحضروا دروسه، فقام من مجلسه غير واحد من الأئمة الأعلام؛ أمثال الإمام مالك، والإمام سفيان الثوري، والإمام الأوزاعي – رحمهم الله جميعا-.

فلما وجد فروخ فرصة عن الجهاد بعد سبع وَعشرين سنة؛ اتجه مباشرة إلى الْمَدِينَة؛ فقدمها وَهُوَ راكب فرسا، وفِي يده رمح، فنزل عَنْ فرسه، ثُمَّ دفع الباب برمحه، فخرج رَبِيعَة – ولم يعرف أحدهما الآخر- فَقَالَ له: (يا عدو اللَّه، أتهجم على منزلي؟) فَقَالَ: (لا.) وَقَالَ فروخ: (يا عدو اللَّه، أنت رجل دخلت على حرمتي.) فتواثبا وَتلبب كل وَاحد منهما بصاحبه، حَتَّى اجتمع الجيران، فبلغ مَالِك بْن أَنَس وَالمشيخة؛ فأتوا يعينون رَبِيعَة، فجعل رَبِيعَة يقول: (وَالله لا فارقتك إلا عند السلطان)، وَجعل فروخ يقول: (وَالله لا فارقتك إلا بالسلطان، وَأنت مَعَ امرأتي). وَكثر الضجيج، فلما بصروا بمالك سكت كلهم، فَقَالَ مَالِك: (أيها الشيخ، لك سعة فِي غير هذه الدار). فَقَالَ الشيخ: (هي داري، وَأنا فروخ مولى بني فلان. وإني رجعت من الجهاد بعد سبع وعشرين سنة، فتنكرونني.) فسمعت امرأته كلامه؛ فخرجت، فقالت: (هذا زوجي، وَهذا ابني الَّذِي خلفته وَأنا حامل به). فاعتنقا جميعا وَبكيا.

فدخل فروخ المنزل وَقَالَ: (هذا ابني؟) قالت نعم، قَالَ: (فأخرجي المال الَّذِي لي عندك، وَهذه معي أربعة آلاف دينار.) فقالت: (المال قد دفنته، وَأنا أخرجه بعد أيام). *فخرج رَبِيعَة إِلَى المسجد وَجلس فِي حلقته*، وَأتاه مَالِك بْن أَنَس، وَالحسن بْن زيد، وَابن أَبِي علي اللهبي، وَالمساحقي، وَأشراف أَهْل الْمَدِينَة، وَأحدق الناس به. فقالت امرأته: (اخرج، صل فِي مسجد الرسول). فخرج فصلى، فنظر على حلقة وَافرة؛ فأتاه؛ فوقف عَلَيْهِ؛ ففرجوا له قليلا، وَنكس رَبِيعَة رأسه يوهمه أنه لم يره، وَعليه طويلة، فشك فيه أَبُو عَبْد الرَّحْمَنِ، فَقَال: (من هذا الرجل؟) فَقَالُوا له: (هذا رَبِيعَة بْن أَبِي عَبْد الرَّحْمَن) فَقَالَ أَبُو عَبْد الرَّحْمَنِ: (لقد رفع اللَّه ابني).

فرجع إِلَى منزله فَقَالَ لوالدته: (لقد رأيت وَلدك فِي حالة ما رأيت أحدا من أَهْل العلم وَالفقه عليها). فقالت أمه: (أيما أحب إليك ثلاثون ألف دينار، أَوْ هذا الَّذِي هو فيه من الجاه؟) قَالَ: (لا وَالله، إِلا هذا.) قالت: (فإني قد أنفقت المال كله عليه) قال: (فو الله ما ضيعته).[67]

أيها القارئ الكريم، فها هو أثر تربية الأم القدوة، وتعليمها، وها هو السر الجميل الخلاب وراء نجاح ابن عظيم. هذا وتوفي الإمام ربيعة سنة ١٣٦هـ في أنبار أو المدينة. فرحمة الله عليه.

{١} فائدة : موقف الزوجة في حالة حرجة ، حينما خرج زوجها في الجهاد ، وهي حامل، ووضع بين يديها مالا، فما كان منها إلا أن وضعته في المكان المناسب، حتى وصل هذا الأبن القيادة في العلم ، ومن تحت يده تعلم كبار علماء الأمة .

[67]- تاريخ بغداد: (٤٢١/٨-٤٢٢) بتصرف.

أم عبد القادر الجيلاني رحمهما الله

أم الشيخ تسمى فاطمة، وتكنى أم الجبار، *وتلقب أم الخير، وكان لها حظ عظيم وافر من الخير والصلاح.*[٦٨]

ولد من بطنها الشيخ عبد القادر الجيلاني سنة ٤٧٠ هـ وفي رواية سنة ٤٧١ هـ، واشتهر بالخير، والصلاح، والزهد لدى جميع المسلمين. فقد قال عنه الحافظ الذهبي رحمه الله: (الشيخ، الإمام، العالم، الزاهد، العارف، القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء؛ محي الدين أبو مُحَمَّد عبد القادر بن أبي صالح بن جنكي دوست[٦٩] الجيلي، الحنبلي، شيخ بغداد)[٧٠].

ومن وراء تربية هذا الإمام الجليل، ورقيه العلمي وعروجه المعرفي أيضا يد أمه أم الخير. فرغبته في طلب العلم وحثته على الاشتغال به. يقول الشيخ نفسه: قالت لي أمي: *(امش إلى بغداد، واطلب العلم)*. قال: فخرجت من بلد إلى بلد وأنا ابن ست عشرة سنة، أو قال: ابن ثماني عشرة سنة، واشتغلت بالعلم.[٧١]

ولم تكتف أم الخير بترغيب ولده في طلب العلم، بل وحثته على ترك رذيلة الكذب، والتحلي بالورع والتقوى، والتخلق بخلق الصدق.

مات أبوه وهو طفل في السنة الرابعة أو الخامسة ، فصبرت أمه واحتسبت، واهتمت بالغ الاهتمام برعايته، وتعليمه، وتربيته. وهذه العناية أنتجت شابا صالحا قدوة . درس في بداية عمره في كتاب القرية ، وللاستزادة من العلم قصد إلى بغداد. يقول الشيخ:

جئت إلى أمي و قلت لها : هبيني لله ، لأني أرى المسير إلى بغداد لأشتغل بالعلم وأزور الصالحين. فسألتني عن سبب ذلك؛ فأخبرتها بما جرى، فبكت، و قالت لي: عندي ثمانون دينارا ورثتها من أبيك، فتركت لأخي أربعين دينارا و خاطت في دلقي تحت إبطي أربعين دينارا وأذنت لي في المشي وعاهدتني على الصدق في كل أحوالي، وخرجت مودعة لي وقالت يا ولدي، اذهب فقد خرجتُ عنك لله، فهذا وجه لا أراه إلى يوم القيامة . {١}

٦٨- غبطة الناظر: (٢).

٦٩- وفي معجم الشيوخ: (١/ ٥٢): جنكي دوست: أي العظيم القدر.

٧٠- سير أعلام النبلاء: (٢٠/٤٣٩).

٧١- غبطة الناظر: (٤).

فصرت مع قافلة صغيرة تطلب بغداد، فلما تجاوزنا همدان، وكنا بأرض فلاة؛ خرج علينا ستون فارسا، فأخذوا القافلة، ولم يتعرض لي أحد. وكلما مر بي واحد منهم؛ قال لي: يا فقير، ما معك؟ فقلت: أربعون دينارا، فقال: وأين هي؟ فقلت: مخيطة في دلقي تحت إبطي. فظن أني أستهزئ به، فتركني، وانصرف. فمر بي واحد آخر؛ فقال لي مثل الأول، فأجبته بمثله، فتركني وانصرف، فاجتمعا عند مقدمهم، وأخبراه بما سمعاه مني، فقال: علي به، فأتي بي إليه، وإذا هم على تل يقتسمون أموال القافلة. فقال لي ما معك؟ فقلت: أربعون دينارا. قال: أين هي؟ قلت: مخيطة في دلقي تحت إبطي. فأمر بدلقي؛ ففتق، فوجدها. فقال ما حملك على هذا؟ قلت: أمي عاهدتني على الصدق؛ فأنا لا أخون عهدها. فبكى وقال: أنت لم تخن عهد أمك وأنا لي اليوم كذا و كذا سنة أخون عهد ربي، فتاب على يدي. فقال له أصحابه: أنت كنت مقدمنا في قطع الطريق؛ فأنت الآن مقدمنا في التوبة. فتابوا كلهم على يدي وردوا للقافلة ما أخذوا منهم، فهم أول من تاب على يدي[٧٢].

الله أكبر! أيها القارئ الكريم، فهل لك أن تقدر ماذا ستُكسِب التربية الصالحة ولدك؟

عاش الشيخ عبد القادر تسعين سنة، وتوفي في العاشر من ربيع الإخر سنة ٥٦١ هـ.[٧٣] فرحمه الله رحمة واسعة.

{١} فائدة : من توجيهات الأم لإبنها الصدق، وبالصدق هدى الله تلك العصابة ورجوع الأموال لإصحابيها.

---

[٧٢]- غبطة الناظر: (٤-٥) بتصرف.

[٧٣]- سير أعلام النبلاء: (٢٠/٤٥٠).

الباب الثالث

أمهات في القرآن الكريم

إسماعيل عليهما السلام

وهي هاجر القبطية، والدة نبي الله ورسوله سيدنا إسماعيل عليه السلام. لَمَّا وُلِدَ لَهَا إِسْمَاعِيلُ، اشْتَدَّتْ غَيْرَةُ سَارَةَ -زوجة نبي الله إبراهيم عليه السلام- مِنْهَا، وَطَلَبَتْ مِنَ الْخَلِيلِ أَنْ يُغَيِّبَ وَجْهَهَا عَنْهَا، فَذَهَبَ بِهَا وَبِوَلَدِهَا، فَسَارَ بِهِمَا حَتَّى وَضَعَهُمَا حَيْثُ مَكَّةَ الْيَوْمَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ. وَيُقَالُ: إِنَّ وَلَدَهَا كَانَ إِذْ ذَاكَ رَضِيعًا. {١}

فَلَمَّا تَرَكَهُمَا هُنَاكَ، وولى ظهره عَنْهُمَا؛ قَامَت إليه هَاجَرُ، وَتَعَلَّقَتْ بِثِيَابِهِ، وَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَدَعُنَا هَاهُنَا وَلَيْسَ مَعَنَا مَا يَكْفِينَا؟ فَلَمْ يُجِبْهَا. فَلَمَّا أَلَحَّتْ عَلَيْهِ، وَهُوَ لَا يُجِيبُهَا؛ قَالَتْ لَهُ: آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَتْ: فَإِذًا لَا يُضَيِّعُنَا.[٧٤]

فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ، حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بهؤلاء الدَّعْوَات وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: {رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُون} [إبراهيم:٣٧]

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ، وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِك الماء، حَتَّى إذا نفد مَا فِي السِّقَاءِ؛ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى -أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ- فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا؛ فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا.

فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بلغت بطن الْوَادِي رفعت طَرَف دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الانسان المجهود حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا، وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا. فعلت ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

---

[٧٤]- قصص الأنبياء: (١/ ٢٠٢) بتصرف يسير.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: ((فلذَلِك سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا)).

فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ: صَهٍ تُرِيدُ نَفْسَهَا. ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث. فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ - أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ - حَتَّى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ، أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا))

قال: فَشَرِبت وأرضعت وَلَدهَا. فَقَالَ لَهَا الْملك: لَا تخافي الضَّيْعَة؛ فَإِن هَاهُنَا بَيْتا لله يبنيه هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ.

وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمٍ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمٍ، مُقْبِلِينَ من طَرِيق كداء، فنزلوا فِي أسفل مَكَّة، فَرَأَوْا طائرا عَائِفًا، فَقَالوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاء، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ.

فَأَرْسَلُوا جَريا أَو جريين فَإِذا هم بالماء، فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا. قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْد الماء، فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. وَلَكِنْ لَا حق لكم فِي الماء عندنَا. قَالُوا: نَعَمْ.[٧٥]

وحينما شب إسماعيل تزوج امرأة منهم، وفي هذه المدة توفيت أمه هاجر بعد حياة مليئة بالتضحية والفداء.[٧٦]

[٧٥]- صحيح البخاري: (٣٣٦٤).

[٧٦]- قصص الأنبياء: (١/ ٢٠٤).

أيها القارئ الكريم، فهل رأيت كيف نجحت أم عالية الهمة لوحدها في تربية ابنها، وكيف استحق فلذة كبدها وقرة عينها أن يقول الله فيه: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا. وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا}[مريم: ٥٤- ٥٥]

{١} فائدة : حسن توكلها على الله أعانها الله على أمور كثيرة.

أم إسحاق عليهما السلام

وهي السيدة سارة – ﵂– والدة سيدنا إسحاق –عليه السلام–. وهي زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام.

قد من الله تعالى على نبيه وخليله إبراهيم –عليه السلام– بزوجتين، صالحتين، صابرتين، مؤمنتين. سعت إحداهما مع زوجها في الخير، والصبر عليه، وإكرام الضيوف؛ حتى بلغت الكبر، وثبتت على طريق البر والصبر إلى أن ماتت. وأخراهما صبرت وثبتت حينما تركها الخليل إبراهيم – عليه السلام– مع رضيعها بأرض لا زرع فيها ولا ماء (بطحاء).

ذكر الله أولاهما (سارة) في الموضعين من القرآن الكريم. قال تعالى في سورة هود: {وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذ. فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوط. وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوب. قَالَتْ يَاوَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيب} [هود:٦٩–٧٢]

وقال تعالى في سورة الذاريات: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِين. إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُون. فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِين. فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلاَ تَأْكُلُون. فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلاَمٍ عَلِيم. فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيم. قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيم} [الذاريات:٢٤– ٣٠]

التعريف الموجز بالسيدة سارة:

قد ثبت عن النبي ﷺ بإسناد صحيح أن اسم الزوجة الأولى لإبراهيم الخليل سارة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ، قَوْلُهُ: إِنِّي سَقِيمٌ، وَقَوْلُهُ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ، إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ، أَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَأُتِيَ بِهَا.

فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً. فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضُرُّكِ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى. فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ. فَقَالَ: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، فَلَكِ اللهَ أَنْ لَا أَضُرَّكِ، فَفَعَلَتْ، وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ، وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا، فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ، وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ، فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي، وَأَعْطِهَا هَاجَرَ. قَالَ: فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي، فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا: مَهْيَمْ؟ قَالَتْ: خَيْرًا، كَفَّ اللهُ يَدَ الْفَاجِرِ، وَأَخْدَمَ خَادِمًا.[٧٧]

وقد ذكر أهل الأخبار أن نسب السيدة سارة: سارة بنت هارون (أو هاران) بن ناحور بن ساروج بن راعو بن فالغ، وكانت بنت عم إبراهيم عليه السلام. ونسبه: إبراهيم بن تارخ (آزر) بن ناحور بن ساروج بن راعو بن فالغ.[٧٨]

قامت السيدة سارة مؤمنة مع إبراهيم عليه السلام في السراء والضراء من حين تزوجها إلى أن ماتت.[٧٩] [٨٠]

---

[٧٧]- صحيح مسلم: (٢٣٧١).

[٧٨]- انظر للتفصيل: تفسير الطبري: (٧١/١٣)، وتفسير البغوي: (٣٩٢/٢)، وتفسير القرطبي: (٧٠/٩).

[٧٩]- وللاستزادة انظر: تاريخ ابن خلدون: (١٤١/٢)، والبداية والنهاية: (١٤١/١).

أم موسى عليهما السلام

لم يرد اسم أم موسى في القرآن الكريم ولا في الحديث الصحيح. ولكن ذكر أهل التاريخ أن اسمها: يوخاند أو يحيب، أو يوخايذ أو باختة، أو لوحا بنت هاند بن لاوي بن يعقوب[٨١]. وعلى كلٍ فقد تسمت باسم ولو لم نعرفه، ولا فائدة في الخوض في ذلك. وقد أجمع علماء الأمة على أن أم موسى ليست نبية.

لما أراد الله تعالى أن ينجي بني إسرائيل من العذاب المهين الذي كانوا فيه منذ قرون من الزمن –بعد نبي الله يوسف– هيأ أسبابا لذلك. قال تعالى: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِين. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُون} [القصص:٥-٦]

ومن مقدمات هذا الأمر أن الله تعالى أوحى إلى أم موسى بعد أن تمت مدة الحمل وأنجبته، حيث يقول: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِين} [القصص:٧]

لماذا اضطرت أم موسى إلى وضعه في الصندوق، وإلقائه في اليم؟ بين الله تعالى سبب ذلك في مواضع من القرآن الكريم. ففي بداية هذه القصة قال تعالى في سورة القصص: {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِين. وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون. وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِين. وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون. وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ

---

[٨٠]– قرآن ميں خواتين كے واقعات (قصص النساء في القرآن): (١٩٠-٢٠٣) بتصرف.

[٨١]– وردت هذه الأسماء في: الكامل لابن الاثير: (١/٩٥)، وتاريخ الطبرى: (١/٢٣١)، وتفسير الطبرى: (١٣/٢٥)، و قصص الانبياء لابن كثير: (٢٩٩)، والتعريف والأعلام للسهيلي: (١٣٠).

الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُون. فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُون. وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين} [القصص:٨-١٤]

{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِين} [القصص:٤]

وكذلك ذكر نفس السبب في سورة البقرة: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيم} [البقرة:٤٩]

وكما مر في الآية السابعة من سورة القصص أن الله ألهم إلى أم موسى أولا: أن أرضعيه، فَإذا خِفْتِ عَلَيْهِ مِنْ جَوَاسِيسِ فِرْعَوْنَ وَنُقَبَائِهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْأَوْلَادَ، فاجعليه في التابوت وَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ. -وكان هذا قضاء الله الذي يضعف القوي ويقوي الضعيف- فكان هذا تدبيرا لذلك القضاء. وكان الله الحكيم في أمره، الخبير بكل شيء؛ يعلم أن موسى الذي سيكون منجيا لبني إسرائيل من عذاب فرعون، سيدركه جنود فرعون مهما أخفي في مكان خفي ومستور، وسيقتلونه. فأدخله الله قصور فرعون، فأصبح هناك في الأمان -كما مر في الآية ٩ من سورة القصص-.

فقبلت أم موسى قضاء الله هذا، وعملت بمقتضى ذلك، وتيقنت بوعد الله، وأقدمت بما أمرها الله به. ثم خافت على ولدها، إن انتشر خبره يقتله رجال فرعون. فجعلته في التابوت بسرعة، وألقته في اليم. فأمسكه أهل فرعون. {١}

فلما بلغها الخبر بأن موسى أمسكه أهل فرعون؛ أصابها القلق، وطار عقلها، وكَادَتْ لتكشف السر الذي كتمته على رجال فرعون، ولَتُبْدِي بِهِ أَنَّهُ ابْنُهَا مِنْ شِدَّةِ وَجْدِهَا، ولكن الله ربط على قلبها، فاستقامت واطمأنت بوعد الله بأنه يحفظ موسى ويرده إليها.[82]

فلما هدأ قلقها بحثت عن ابنها، وأرسلت أخت موسى –واسمها مريم أو كاتمة أو كلثوم– وقالت لها:اتْبَعِي أَثَرَهُ حَتَّى تَعْلَمِي خَبَرَهُ، فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ بُعْدٍ، وكانت تمشي جانبا وتنظر اختلاسا تري أَنَّهَا لَا تَنْظرُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، أَنَّهَا أُخْتُهُ وَأَنَّهَا تَرْقُبُهُ. ثم –كما مر في الآيات– *رد الله موسى إلى أمها إنجازا لوعده، لتقر عينه برجوعه مع السلامة، ولا تحزن، ولتعلم أن وعد الله حق.*[83] [84]

{١} فائدة : الأم أمتثلت لإمر ربها ، واستجاب له ، فكان سببا في وصول موسى عليه السلام إلى مكانة عليا ، والأم إذا عملت بالكتاب والسنة كان لها ولذريتها الصلاح والفلاح.

---

[82]– انظر: تفسير البغوي: (٤٣٧/٣)، تفسير ابن كثير: (٢٣٣/٦)، والبحر المحيط: (١٠٦/٧)، وتفسير القاسمي: (٤٦٩٧/١٣).

[83]– انظر: روح المعاني للآلوسي: (٥٠/٢٠)، تفسير أبي السعود: (١٦/٦)، وتفسير الطبري: (٤١/٢٠)، وزاد المسير: (٢٠٦/٦)، وحسن الأسوة لصديق حسن القنوجي: (٣٧).

[84]– قرآن ميں خواتين كے واقعات (قصص النساء في القرآن): (٧٣–٧٨) بتصرف.

أم مريم عليهما السلام

إن الله تعالى يختار من خلقه من يشاء لحمل نبوته وتبليغ رسالته، فقال تعالى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون} [القصص:٦٨]

وقال في موضع آخر: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِير} [الحج:٧٥]

ومن ثم اختار الله من الناس من كان خير البرية وأفضل الخلق للنبوة والرسالة، كما قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِين. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيم} [آل عمران:٣٣-٣٤]

لما أخبرنا الله تعالى أنه اصطفاهم للرسالة، والنبوة، والعبادة، والطاعة، من بين جميع خلقه؛ أطلعنا على أحوالهم وسيرهم العظيمة من حيث يقتدى بهم. فإنهم كانوا مثالا يحتذى به في الوصول إلى عبودية الله.[٨٥]

ومن عباد الله الذين اصطفاهم: امرأة عمران أم مريم عليها السلام. ولم يقص الله قصة أم مريم إلا في موضع من القرآن الكريم، يقول تعالى: {إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم{١} فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم} [آل عمران:٣٥-٣٦]

---

[٨٥]- تفسير الطبري: (٢٣٤/٣).

ترجمة أم مريم:

المرأة الصالحة التي ذكرت في الآية: زوجة الرجل الصالح من بني إسرائيل عمران بن هاشم بن أمون، وهي أم مريم ابنة عمران. وكان اسمها فيما ذكر في الأحاديث: حَنَّة ابنة فاقوذ بن قتيل.[٨٦]

وكما مر في سورة آل عمران (٣٣-٣٤) أن الله اصطفى هذا البيت لنعمته العظمى، وذلك لأنهم كانوا خيرة الناس. ولأجل ذلك اختص بهم الاصطفاء دون غيرهم، فإنهم كانوا أفضل خيار الناس.[٨٧]

قال ابن كثير رحمه الله نقلا عن مُحَمَّد بن إسحاق: وَكَانَتِ امْرَأَةً لَا تَحْمِلُ، فَرَأَتْ يَوْمًا طَائِرًا يَزُقُّ فَرْخَهُ، فَاشْتَهَتِ الْوَلَدَ، فدعت الله تعالى أَنْ يَهَبَهَا وَلَدًا، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهَا، فَوَاقَعَهَا زوجها، فحملت منه، فلما تحققت الحمل، *نذرت أَنْ يَكُونَ مُحَرَّرًا أَيْ خَالِصًا مُفَرَّغًا لِلْعِبَادَةِ وَلِخِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَتْ: رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً، فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ أَيِ السَّمِيعُ لِدُعَائِي الْعَلِيمُ بِنِيَّتِي*، وَلَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ مَا فِي بَطْنِهَا: أَذَكَرًا أَمْ أُنْثَى؟ فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ. قُرِئَ بِرَفْعِ التَّاءِ، عَلَى أَنَّهَا تَاءُ المتكلم، وأن ذلك من تمام قولها، وقريء بِتَسْكِينِ التَّاءِ، عَلَى أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى أَيْ فِي الْقُوَّةِ وَالْجَلَدِ فِي الْعِبَادَةِ وَخِدْمَةِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَإِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَمَ.[٨٨]

ثم عَوَّذَتْهَا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، وَعَوَّذَتْ ذُرِّيَّتَهَا -وَهُوَ وَلَدُهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهَا ذَلِكَ. ففي الصحيحين من حديث أبي هُرَيْرَةَ، «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا مَسَّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّهِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا» ثُمَّ يَقُولُ

[٨٦]- انظر للتفصيل: فتح الباري: (٣/٣٠٦)، وتفسير الطبري: (٦/ ٣٢٨).

[٨٧]- انظر للتفصيل: تفسير الطبري: (٣/٢٣٤).

[٨٨]- تفسير ابن كثير: (٢/ ٢٨).

أَبُو هُرَيْرَةَ: اقرءوا إِنْ شِئْتُمْ وَإِنِّي أُعِيذُها بِكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ.[٨٩]) وفي رواية في غير الصحيحين: ((.... إِلَّا وَقَدْ عَصَرَهُ الشَّيْطَانُ عَصْرَةً أَوْ عَصْرَتَيْنِ...))[٩٠] وفي رواية ((....غَيْرَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعُنُ فَطَعَنَ فِي الحِجَابِ)).[٩١] [٩٢]

سبحان الله ! ما أقوى عقيدتها وما أجزم يقينها! فإنها قدمت نذرها راغبة فيما عند الله، وأكدته ب (إن) التاكيدية، وتوسلت إلى الله في ذلك باسمين حبيبين من أسمائه الحسنى، وهما: (السميع العليم). كانت تؤمن بالله، وتتوكل عليه، وتخلص له العبادة، فاستجاب الله لها دعاءها، وخلد ذكرها وذكر ذريتها إلى يوم القيامة.

{١} فائدة : دعاء الأم لإبنها ومقصدها في الدعاء بأن يكون محررا ، وخالصا للعبادة أي متفرغا، وأن يخدم بيت المقدس. وعلى الأم في دعائها أن تدعوا لذريتها الصلاح وخدمة دين الله، أما الأمور الاخرى فتاتي تبعا، وتتنبه الأم من الدعاء على الأبناء في الهلاك والضياع فيقع ذلك.

---

[٨٩]- صحيح البخاري: (٤٥٤٨)، وصحيح مسلم (١٤٦).

[٩٠]- تفسير الطبري: (٣/٢٤٠).

[٩١]- صحيح البخاري : (٣٨٨٦).

[٩٢]- تفسير ابن كثير: (٢/٢٩).

مريم أم عيسى عليهما السلام

الشيء الملاحظ عن أم عيسى مريم بنت عمران ﵆: أنها امرأة أكثر ذكرا في القرآن الكريم، فقد ورد اسمها ٣٤ مرة في ١١ سورة من القرآن الكريم.

ومما لا شك فيه أن العفاف وحفظ العرض والفرج لها شأن كبير، وأهمية عظيمة في الإسلام، فقد قال الله تعالى آمرا بذلك وناهيا عن سببه: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُون}[النور: ٣٠]

وكذلك أمر المؤمنات بما أمر به المؤمنين، فقال تعالى: {وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: ٣١]

فبالعفة يسلم القلوب من همزات الشياطان، وتتزكى النفوس من مذلات الشهوات. ولذا فقد ضرب الله لعباده المؤمنين والمؤمنات مثالا امرأة صانت العرض، وحفظت الفرج، وأخلصت لله سائر أعماله الصالحة. والاسم المبارك لهذه المرأة الصالحة العفيفة: مريم بنت عمران ﵆.

وفيما يلي ذكرها كما جاء في القرآن الكريم: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِين. *يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِين*. ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُون} [آل عمران: ٤٢-٤٤]

{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِين} [الأنبياء: ٩١]

{قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا. قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا. فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا.

فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا. فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا. وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا. فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا. فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا. فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا. ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُون. مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون} [مريم: ٢٠-٣٥]

وامتدح الله عفة مريم عليها السلام فقال: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا. قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا. قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاَمًا زَكِيًّا} [مريم: ١٦-١٩]

كما مر آنفا أن زوجة عمران أم مريم -ﷺ- عَوَّذَتْ مريم وذريتها بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهَا ذَلِكَ. فكانت مريم في حفظ الله وتأييده منذ ولادتها، وييسر الله لها أسباب النشأة الصالحة. وَتَقَبَّلَهَا مِنْ أُمِّهَا نَذِيرَةً، وَأَنْبَتَهَا نباتاً حَسَناً، أَيْ جَعَلَهَا شَكْلًا مَلِيحًا وَمَنْظَرًا بَهِيجًا، وَيَسَّرَ لَهَا أَسْبَابَ الْقَبُولِ، وَقَرَنَهَا بِالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ تَتَعَلَّمُ مِنْهُمُ العلم والخير والدين، فلهذا قَالَ: وَكَفَّلَها زَكَرِيَّا أَيْ جَعَلَهُ كَافِلًا لَهَا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَمَا ذلك إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ يَتِيمَةً. وَذَكَرَ غَيْرُهُ: أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَصَابَتْهُمْ سَنَةُ جَدْبٍ، فَكَفَلَ زَكَرِيَّا مريم لذلك، ولا منافاة بين الْقَوْلَيْنِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَإِنَّمَا قَدَّرَ اللَّهُ كَوْنَ زَكَرِيَّا كَافِلَهَا لِسَعَادَتِهَا، لِتَقْتَبِسَ مِنْهُ عِلْمًا جَمًّا نَافِعًا وَعَمَلًا صَالِحًا، وَلِأَنَّهُ كَانَ زَوْجَ خَالَتِهَا عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُمَا، وَقِيلَ: زَوْجُ أُخْتِهَا، كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ «فَإِذَا بِيَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ» وَقَدْ يُطْلِقُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ذَلِكَ أَيْضًا تَوَسُّعًا، فَعَلَى هَذَا كَانَتْ فِي حضانة خالتها.[٩٣]

تخيل كيف تمت تربية مريم من كل جهة، وهي نشأت منذ نعومة الأظفار في كفالة العبد الصالح والنبي المختار؛ زكريا عليه السلام.

وهذا من رفق الله بها ليربيها على أكمل الأحوال، فنشأت في عبادة ربها وفاقت النساء، وانقطعت لعبادة ربها، ولزمت محرابها أي: مصلاها، فكان {كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا} أي: من غير كسب ولا تعب، بل رزق ساقه الله إليها، وكرامة أكرمها الله بها، فيقول لها زكريا {أنى لك هذا قالت هو من عند الله} فضلا وإحسانا {إن الله يرزق من يشاء بغير حساب} أي: من غير حسبان من العبد ولا كسب.[٩٤] {١}

وليس من الصعب في ضوء الآيات السابقة عن مريم، أن نعرف: أنها عليها السلام عاشت ونشأت في عبادة الله، فانقطعت إليها، وانشغلت بها عن كل شيء.

ثم أنجبت رسولا من إولي العزم اصطفاه الله؛ وتفصيل ذلك من القرآن الكريم فيما يلي: {إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِين} [آل عمران:٤٥]

{وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِين. قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون. وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيل} [آل عمران:٤٦-٤٨]

---

[٩٣]- تفسير ابن كثير: (٢/ ٢٩-٣٠).

[٩٤]- تفسير السعدي: (١٢٩).

وإضافة إلى ذلك، فقد ورد في الأحاديث الصحيحة مدح مريم -رضي الله عنها- وفضلها، ومن بينها:

عن علي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ))[٩٥]

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ قال: ((فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ، كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ))[٩٦]

رحمة الله وبركاته على عيسى وأمه مريم.

{١} فائدة : الأم العابدة ، المصلية ، التي غضت بصرها، وحفظت فرجها، وكان كافلها رجل صالح ، فينعكس الأثر على الأبناء.

[٩٥]- أخرجه البخاري: (٣٤٣٢)، ومسلم: (٢٤٣٠).

[٩٦]- أخرجه البخاري: (٣٤١١)، ومسلم: (٢٤٣١).

الباب الرابع

معلمات رجال

من المحدثين

الفصل الأول

أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها

تزوج النبي ﷺ أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما– وهي صغيرة. وفي كثرة ازدواج النبي ﷺ وخاصة في زواجه من عائشة في صغرها حكم عديدة، منها: *أن النبي عليه السلام وإن سعد بصحبته مئات من الرجال، فمن الطبيعي أن عامة النساء لم تسنح لهن الفرصة لذلك، إلا أن أمهات المؤمنين كان ذلك في متناولهن، فلهن أن يتمتعن بشرف صحبة النبي عليه السلام، ويكسبن منه الأنوار، فتنتشر هذه الأضواء على أيديهن في سائر العالم الأنثوي.*

وليست كل أمهات المؤمنين مثل عائشة، فلم يدخلن في نكاح النبي ﷺ إلا بعد فراق زوج سابق، والسيدة عائشة هي الوحيدة المستفيضة من شرف صحبة النبي عليه السلام. *فإنها دخلت في حرمه وتنحت عن الملاهي والملاعب، في السن المبكر الملائم للتعلم والقابل للتربية، لتتكون شخصيتها على مراد الله ورسوله، ولتكون منارة النور لنصف سكان الأرض.*

كان أبوها الصديق رضي الله عنه أعلم قريش بالأنساب،[٩٧] *وكان شاعر المسلمين الفحول حسان بن ثابت إذا هجاهم في جواب هجائهم للنبي ﷺ؛ قَالُوا: إِنَّ هَذَا الشِّعْرَ مَا غَابَ عَنْهُ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ –أبو بكر–*[٩٨]*. وفي حضن هذا الأب تربت عائشة رضي الله عنها. فالعلم بالأنساب وذوق الشعر مما ورثته من أبيها.*

وكان سيدنا أبو بكر شديدا في تربية أولاده، حتى هم بضرب ابنه عبد الرحمن حينما تأخر في إطعام الضيوف.[٩٩] وكانت عائشة تخاف أباها إذا قصرت في أمر حتى بعد زواجها.

٩٧– انظر: صحيح مسلم: ٢٤٩٠).

٩٨– الاستيعاب في معرفة الأصحاب: (٣٤٢/١).

٩٩– انظر: صحيح البخاري: (٦٠٢).

وزجرها غير مرة زجرا شديدا.[100] وذات مرة اشتد الأمر حتى تناولها أبو بكر ليلطمها ولكن حجزه النبي عنها.[101]

كانت بداية تعليم السيدة عائشة وتربيتها إثر بناء النبي عليها، حيث *تعلمت القراءة؛ فكانت تقرأ القرآن في المصحف.*[102] وفي رواية: أنها لا تعرف الكتابة،[103] وكان مولاها أبو يونس يكتب لها القرآن.[104]

وعلى أية حال، فالقراءة والكتابة ليست إلا الوجه الظاهر للتعليم الإنساني. وأما المعيار الحقيقي للتعليم والتربية فهو أرفع منه بدرجات. *فإن كمال الإنسانية، وزكاء الخلق، والعلم بضروريات الدين، والمعرفة بأسرار الشريعة ومقاصدها، ودراية كتاب الله تعالى، وحفظ سنن النبي وآثاره، إنما هي من التعليم العالي. وقد حظيت السيدة عائشة بجميعها على وجه الكمال والتمام. وعلاوة على العلوم الدينية فلها يد في التاريخ، والأدب والطب. يقول عروة: ((مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْعِلْمِ وَالشِّعْرِ وَالطِّبِّ مِنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ))*[105]

أما التاريخ والأدب فأخذتهما من أبيها الكريم، *وأما الطب فحفظته من وفود العرب التي كانت تفد إلى النبي ﷺ من أنحاء الأرض، ويصفون له الدواء حينما يسقم.*[106]

ولم يكن موعد محدد لتلقي العلوم الدينية، *فصاحب الشريعة نفسه في البيت، والصحبة حاصلة آناء الليل والنهار، وتقوم مجالس الإرشاد والتعليم كل يوم في المسجد المجاور لبيت عائشة، فكانت تحضر كل درس يلقيه النبي صلى الله وسلم في المسجد خارج البيت،*

---

[100]- انظر: صحيح مسلم: (١٤٦٢).

[101]- سنن أبي داود: (٤٩٩٩).

[102]- صحيح البخاري: (٤٩٩٣).

[103]- بلاذري فصل خط.

[104]- مسند أحمد: (٢٤٤٤٨).

[105]- المستدرك على الصحيحين: (٦٧٣٣).

[106]- المستدرك على الصحيحين: (٦٧٣٧).

وإذا لم تع شيئا من درسه بسبب البعد؛ استفسرته عنه إذا دخل البيت[107]، وأحيانا تقوم فتجلس بقرب من المسجد[108]. وبالإضافة إلى ذلك فقد جعل النبي ﷺ يوما للنساء للوعظ والتذكير.[109]

ففي اليوم والليلة تتطرق إلى مسامعها عشرات المسائل والأحكام، فكَانَتْ لاَ تَسْمَعُ شَيْئًا لاَ تَعْرِفُهُ، إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ النبي ﷺ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وتعرض عليه كل مسألة أشكلت عليها بلا استحياء، حتى تقتنع.[110] [111]

وبعد ما تخرجت في مدرسة النبي عليه السلام؛ نشرت العلم حق النشر؛ فتلمذ عليه من كبار التابعين رجال لا يزالون على سماء العلم نجوما مضية ما بقيت الدنيا.

إن من خدمة العلم أن يبلغ للناس، ويستخدم في تزكية النفوس، وإصلاح الأمة، وقد قال النبي ﷺ: ((فليبلغ الشاهد الغائب))[112]. فهل السيدة عائشة أدت هذه المسؤولية؟ هذا سؤال مهم سنجيب عنه في السطور الآتية، لينكشف الغبار عن الحقيقة.

من يرى نشر العلم والعمل من خصائص الرجال فليشاهد كيف ينشر الأضواء في هذا المجال مصباح من مصابيح حرم النبوة.

انتشر الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ للدعوة والإرشاد ولتبليغ رسالة الإسلام إلى الناس كافة في جميع البلدان الإسلامية. فكان هناك طائفة من معلمي الصحابة ودعاتهم في مختلف المدن والمناطق مثل: مكة، والطائف، والبحرين، واليمن، ودمشق، ومصر، والكوفة، والبصرة وغيرها.

---

[107]– مسند عائشة: (٧٧).

[108]– مسند عائشة: (١٥٩).

[109]– صحيح البخاري: (١٠١).

[110]– صحيح البخاري: (١٠٣).

[111]– سيرة عائشة: (٣١-٣٣) أردو، بنصرف.

[112]– أخرجه البخاري: (١٧٣٩).

وبعد سبع وعشرين سنة انتقل مركز الخلافة إلى الكوفة ثم إلى دمشق، ولكن لم تؤثر هذه التقلبات السياسية على الجو الروحاني والفضاء العلمي في المدينة المنورة، فلم تزل المدينة النبوية محافظة على مركزيتها ومرجعيتها في العلم والإفتاء والدعوة والإرشاد. فكان فيها مجالس للعلم يشرف عليها كل من عبد الله بن عمر، وأبي هريرة، وعبد الله بن عباس، وزيد بن ثابت – ﵃– ويتميز من بينها مجلس أم المؤمنين عائشة في البقعة المباركة من المسجد النبوي المجاورة لبيت النبي عليه السلام.

الغلمان، والنساء، والرجال الذين لا يتحجبون من أم المؤمنين يدخلون الحجرة[١١٣] ويجلسون في داخلها. ويجلس الآخرون خارجها، وعلى الباب حجاب تجلس من وراءه أم المؤمنين؛ إذا سألها الطلاب؛ أجابتهم،[١١٤] وأحيانا إذا طاف الحديث في موضوع؛ شاركتهم الكلام وناقشتهم. وربما تثير من عندها قضية تتحدث عنها، فيستمعون إليها بصمت وهدوء.

وقد تصحح أخطاء لغوية لتلاميذها. فعَنِ ابْنِ أَبِي عَتِيقٍ، قَالَ: تَحَدَّثْتُ أَنَا وَالْقَاسِمُ عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حَدِيثًا، وَكَانَ الْقَاسِمُ رَجُلًا لَحَّانَةً وَكَانَ لِأُمِّ وَلَدٍ؛ فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: مَا لَكَ لَا تَحَدَّثُ كَمَا يَتَحَدَّثُ ابْنُ أَخِي هَذَا؟ أَمَا إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ مِنْ أَيْنَ أُتِيتَ هَذَا، أَدَّبَتْهُ أُمُّهُ، وَأَنْتَ أَدَّبَتْكَ أُمُّكَ.[١١٥]

وبالإضافة إلى الطلاب المؤقتين فقد كانت تحضن غلمانا وجواري من الأسر، وأيتام البلد، وتقوم بتعليمهم وتأديبهم، وقد تُرَضِّع الأخت أو بنت الأخت غلمانا، فتصبح لهم خالة أو جدة (من الرضاعة)، فيدخلون عليها.[١١٦] والذين لا يدخلون عليها يأسفون على

[١١٣]– انظر: مسند أحمد: (٢٤٤٣٠).

[١١٤]– انظر: صحيح البخاري: (١٧٧٦)، ومسند أحمد: (٢٥٢٣٨).

[١١٥]– صحيح مسلم: (٥٦٠).

[١١٦]– انظر: صحيح مسلم: (١٤٥٣، ١٤٥٤). تفردت أم المؤمنين عائشة بهذا الرأي من بين الفقهاء. ولتحقيق المسألة يرجع إلى شروح كتب الحديث.

فوات الفرصة للإكثار من العلم. قال قبيصة بن ذويب: كان عروة يغلبنا بدخوله على عائشة.[١١٧] وكان الفقيه إبراهيم النخعي يدخل على أم المؤمنين عائشة ﵂ وهو صبي، فيغبطه أقرانه على ذلك.[١١٨]

وكانت تحج بيت الله كل سنة، حيث يتمركز المسلمون من جميع العالم يوما من العام على نقطة واحدة، فينصب لها المخيم بين جبلي حراء وثبير[١١٩]. فكان عدد كبير من طلاب العلم من أنحاء العالم يحضرون مجلس درسها. يعرضون عليها المسائل، ويطلبون منها الرد على الشبهات[١٢٠]، وإذا استحيا أحدهم من بعض المسائل شدت همته. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَاحٍ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكِ عَنْ شَيْءٍ وَإِنِّي أَسْتَحْيِيكِ. فَقَالَتْ: «سَلْ مَا بَدَا لَكَ، فَإِنَّمَا أَنَا أُمُّكَ»[١٢١] وحدث نفس الموقف لأبي موسى الأشعري ﵁ فأجابته نفس الجواب: «سَلْ، وَلَا تَسْتَحْيِ، فَإِنَّمَا أَنَا أُمُّكَ»)[١٢٢] وفي الحقيقة علمت تلاميذها مثل الأمهات؛ *فربت بهذه الأمومة كلا من عروة، والقاسم، وأبا سلمة، ومسروقا، وعمرة، وصفية، كفلتهم، وأنفقت عليهم. وكانت تعامل مع بعض التلاميذ تعاملا يغبطه الآخرون.*

ويبلغ عدد المستفيدين وتلاميذ عائشة ﵂ كثرة هائلة. وقد أولى ذكرهم عدد من المحدثين عناية خاصة. والحافظ ابن حجر رحمه الله جعل فهارس للأقارب، والموالي، والصحابة، والتابعين من تلاميذها.

---

[١١٧]- تهذيب التهذيب: (٧/١٨٢، ١٢/٤٣٥).

[١١٨]- تذكرة الحفاظ: (١/ ٥٩)، ومسند أحمد: (٢٥٣٩٥).

[١١٩]- طبقات ابن سعد: (٥/٢٢٦). وفي صحيح البخاري: (١٦١٨)، وطبقات ابن سعد: (٨/٥٤): أنها كانت تجاور في جوف ثبير. ولعلها جاورت سنة بين حراء وثبير، وسنة أخرى في جوف ثبير.

[١٢٠]- انظر: صحيح البخاري: (٣٢١)، وصحيح مسلم: (٣٣٥).

[١٢١]- مسند أحمد: (٢٦٢٨٩).

[١٢٢]- مسند أحمد: (٢٤٦٥٥).

فمن الصحابة: أبو موسى الأشعري، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعمرو بن العاص، وزيد بن خالد الجهني، وربيعة بن عمرو الجرشي، والسائب بن يزيد، وحارث بن عبد الله وغيرهم –رضي الله عنهم–.

ومن الموالي: أبو يونس، وذكوان، وأبو عمرو، وابن فرخ كما في التهذيب، وأبو مدلة مولى عائشة كما في جامع الترمذي[١٢٣]، وأبو لبابة مروان كما في الطبقات،[١٢٤] وأبو يحيى، وأبو يوسف كما في المسند.[١٢٥] وأشهرهم ذكوان وأبو يونس. وفي المسند ذكر عبد الله بن يزيد رضيع عائشة،[١٢٦] وكذا في كتب الرجال، ولا يعرف حاله أكثر.

ومن الأقارب : أختها أم كلثوم بنت أبي بكر، وأخوها من الرضاعة؛ عوف بن الحارث، وابنا الأخ؛ القاسم بن مُحَّد، وعبد الله بن مُحَّد، وبنتا الأخ؛ حفصة بنت عبد الرحمن، وأسماء بنت عبد الرحمن، وابن حفيد الأخ؛ عبد الله بن عتيق بن مُحَّد بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وابنا الأخت؛ عبد الله بن الزبير، والقاسم بن الزبير، وبنت الأخت؛ عائشة بنت طلحة، ومن أحفاد ابن الأخت؛ عباد بن الحبيب وعباد بن حمزة، وغيرهم ممن تربى في حضنها. وتفصيل ذلك في الطبقات لابن سعد.

وأما من التابعين فلم يكن أحد من علماء الحديث ممن أدركها وعاش في عصرها إلا وأخذ منها العلم. وذكرهم يحتاج إلى صفحات، فنطويه.

وفيما يلي ذكر من نشأ وشب في حضانة أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– وتخصص بأحاديثها من بين سائر المحدثين، واشتهر كحامل المفتاح لتابوت علمها:

---

[١٢٣]– تحت رقم الحديث: (٣٥٩٨).

[١٢٤]– طبقات ابن سعد: جزء أهل المدينة، ذكر الموالي.

[١٢٥]– مسند أحمد: (٦/٢٥٨، ٦٧).

[١٢٦]– مسند أحمد: (٦/٣٢).

عروة بن الزبير:

عروة بن الزبير سبط أبي بكر الصديق، وأمها أسماء أخت عائشة. كان حِب خالته، نشأ في حجرها، من أصحاب العلم والفضل في المدينة، ومن شيوخ الزهري وغيره، ويعد من الأئمة في السيرة، أعلم الناس بمرويات عائشة وفقهها وفتاواها. توفي سنة ٩٤ هـ.

القاسم بن مُحَمَّد:

القاسم بن مُحَمَّد بن أبي بكر الصديق، ابن أخي عائشة، نشأ في حجر عمته، وتفقه في الدين منذ الصغر، حتى أصبح إماما في الفقه حين الكبر، وهو عضو هيئة الفقهاء السبعة في المدينة، كان يتورع كثيرا في رواية الحديث. توفي سنة ١٠٨ هـ.

أبو سلمة بن عبد الرحمن:

أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- توفي أبوه وهو صبي، فقامت بتنشئته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. يعد قرين عروة. وهو أحد العلماء الكبار بالمدينة المنورة، روى عنه عظماء أهل الحديث. توفي سنة ٩٤ هـ .

مسروق بن الأجدع:

مسروق بن الأجدع الكوفي تنحى عن الحروب الداخلية، وذكر الذهبي في التذكرة عن الشعبي أن عائشة تبنت مسروقا. وفي الطبقات أن مسروقا أتى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ: خَوِّضُوا لابْنِي عَسَلا.[١٢٧] وخرج الإمام أحمد في المسند والإمام البخاري في الصحيح أكثر رواياته عن عائشة. يعد من فقهاء العراق. كان عابدا زاهدا، تولى القضاء بالكوفة؛ ولم يأخذ الأجرة. توفي سنة ٦٣ هـ.

١٢٧- الطبقات الكبرى: (٦/ ١٤١).

عمرة بنت عبد الرحمن:

إذا ذكرت النساء ممن تربى في حجر أم المؤمنين عائشة فعمرة بنت عبد الرحمن أولاهن. كانت حفيدة للصحابي الجليل سعد بن زرارة الأنصاري. هي مثال أنموذجي من النساء لتعليم أم المؤمنين وتربيتها. كان أهل الحديث يذكرونها فيفخمون أمرها. ونقل صاحب التهذيب عن علي بن المديني: (عمرة أحد الثقات العلماء بعائشة الأثبات فيها.) ونقل كذلك عن ابن حبان قوله: (كانت من أعلم الناس بحديث عائشة) وقال سفيان: (أثبت حديث عائشة: حديث عمرة، والقاسم وعروة.) والقاضي أبو بكر بن مُحَمَّد بن عمرو بن حزم الذي وظفه عمر بن عبد العزيز على جمع الحديث، كان ابن أخيها. ولأجل هذا تم اختياره لهذه الخدمة، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى بن حزم أن يكتب له أحاديث عمرة.[١٢٨] وكانت تصحح أخطاء ابن أخيها القاضي أبي بكر بن حزم.[١٢٩] وعن الزهري قال: قال لي القاسم بن مُحَمَّد: أراك تحرص علي العلم أفلا أدلك على وعائه؟ قلت: بلى. قال عليك بعمرة بنت عبد الرحمن فإنها كانت في حجر عائشة، فأتيتها فوجدتها بحرا لا ينزف.[١٣٠]

صفية بنت شيبة:

صفية بنت شيبة الحاجب وحامل مفتاح الكعبة، تابعية شهيرة صاحبة عائشة، أحاديثها مخرجة في جميع كتب السنة. كان الناس يسألونها عن حديث أم المؤمنين عائشة. فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عَدِيِّ بْنِ عَدَيٍّ الْكِنْدِيِّ، حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ، فَبَعَثَنِي إِلَى صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ، وَكَانَتْ قَدْ حَفِظَتْ مِنْ عَائِشَةَ.....[١٣١].

---

[١٢٨]- تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٣٩).

[١٢٩]- المؤطا، كتاب الحدود والسرقة، باب ما لا قطع فيه، (٢/ ٨٤٠).

[١٣٠]- تذكرة الحفاظ: (١/ ٨٥).

[١٣١]- انظر: سنن أبي داود: (٢١٩٣). وفي رواية أحمد (٢٦٣٦٠) (فَبَعَثَنِي إِلَى صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ صَاحِبِ الْكَعْبَةِ أَسْأَلُهَا عَنْ أَشْيَاءَ، سَمِعَتْهَا مِنْ عَائِشَةَ.....).

كلثم بنت عمرو:

كلثم بنت عمرو القرشية صاحبة عائشة، روت عن عائشة أحاديث.[١٣٢]

عائشة بنت طلحة:

عائشة بنت الصحابي الجليل طلحة، سبطة أبي بكر الصديق، بنت أخت أم المؤمنين عائشة، تربت في حجر خالتها. وكانت كاتبة لأم المؤمنين، فكانت أم المؤمنين تحبها حبا شديدا، ولأجل هذا كان الناس ينتابونها، فكانوا يهدون إليها، ويكتبون إليها من الأمصار.[١٣٣] قال ابن معين: (ثقة حجة) وقال العجلي: (مدنية تابعية ثقة). وقال أبو زرعة الدمشقي: (حدث عنها الناس لفضلها وأدبها).

معاذة العدوية:

معاذة بنت عبد الله العدوية أم الصهباء البصرية، روت عن أم المؤمنين عائشة وأكثرت، كانت عابدة.[١٣٤] [١٣٥]

يتجلى مما تقدم من البحث نماذج من خدمات أم المؤمنين تجاه العلم. وفق الله تعالى أمهات المسلمين لسلوك مسلك أم المؤمنين. {١}

{١} فائدة : تربت عائشة ﵂ في بيت النبوة من صغرها، فاستفادت أكثر من الرجال، لأنها جمعت بين سماعها للنبي عليه الصلاة والسلام في دروسه في المسجد لقرب حجرتها، وبين سؤاله ﷺ عما أشكل عليها إذا قدم إليها، وعن أمور خاصة وعامة. وأخذت العلم،

١٣٢- تهذيب التهذيب: (١٢/ ٤٤٨).

١٣٣- الأدب المفرد: باب الكتابة إلى النساء (١١١٨).

١٣٤- تهذيب التهذيب: (١٢/٤٥٢).

١٣٥- أعدت جميع هذه التراجم من الطبقات الكبرى لابن سعد وتهذيب التهذيب لابن حجر.

والطب، والتاريخ، وغيرها من النبي ﷺ وعن أبيها. ثم تفرغت بعدوفاة النبي عليه الصلاة والسلام، فكان لها أثر كبير على الصحابة وابناء الصحابة والتابعين ، فهم أبنائها لإنها أم المؤمنين، فكانت تربي تلاميذها من الأبناء والبنات تربية متكاملة في أمور العامة والخاصة، مما يستحي الناس منه عند السؤال، تخرج على يديها علماء وعالمات، نشروا هذا الدين في أقطار الدنيا.

أم المؤمنين السيدة ميمونة ﵂

السيدة ميمونة بنت حارث الهلالية أم المؤمنين؛ تزوجها النبي ﷺ في ذي القعدة سنة ٧ هـ. وكانت آخر امرأة تزوجها النبي عليه السلام.[١٣٦] *وكانت من سادات النساء. قالت عنها أم المؤمنين عائشة: إِنَّهَا كانت من أتقانا للهِ، وَأَوْصَلِنَا لِلرَّحِمِ.*[١٣٧]

وفي حرم النبي ﷺ جمع لديها الخير الكثير في صورة العلم النافع. فممن حدث عنها من العلماء الأجلة: عبد الله بْن عباس، وَابن أختها الآخَرُ؛ عَبْدُ اللهِ بنُ شَدَّادِ بنِ الهَادِ، وَعُبَيْدُ بنُ السَّبَّاقِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ السَّائِبِ الهِلاَلِيُّ، وَابْنُ أُخْتِهَا الرَّابِعُ؛ يَزِيْدُ بنُ الأَصَمِّ، وَكُرَيْبٌ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمَوْلاَهَا؛ سُلَيْمَانُ بنُ يَسَارٍ، وَأَخُوْهُ: عَطَاءُ بنُ يَسَارٍ، وَآخَرُوْنَ.[١٣٨]

رُوِيَ لها: ٧ أَحاديث في (الصحيحين) ، وانفرد لها البخاري بِحَدِيْثٍ، وَمُسْلِمٌ ب ٥، وَجَمِيْعُ مَا رَوَتْ: ١٣ حَدِيْثاً. توفيت سنة ٥١ هـ كما رجح ذلك الإمام الذهبي رحمه الله.[١٣٩]

قال ابن سعد: لَهَا يَوْمَ تُوُفِّيَتْ ثَمَانُونَ أَوْ إِحْدَى وَثَمَانُونَ سَنَةً. وَكَانَتْ جَلِدَةً. حَمَلَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَجَعَلَ يَقُولُ لِلَّذِينَ يَحْمِلُونَهَا: ارْفُقُوا بِهَا فَإِنَّهَا أُمُّكُمْ. حَتَّى دَفَنَهَا بِسَرِفَ.[١٤٠]

---

[١٣٦]: طبقات ابن سعد: (٨/١٠٥).

[١٣٧]- سير أعلام النبلاء: (٢/ ٢٤٤).

[١٣٨]- سير أعلام النبلاء: (٢/ ٢٣٩).

[١٣٩]- سير أعلام النبلاء : (٢/ ٢٤٥).

[١٤٠]- طبقات ابن سعد: (٨/١١١).

أم المؤمنين أم سلمة ﵂

اسمها: هند بنت أبي أمية، دَخَلَ بِهَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنَ الهِجْرَةِ. وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَشْرَفِهِنَّ نَسَبا. *تعد من فقهاء الصحابيَّات، ومن المهاجرات الأُوَلِ.*

ولها أَولاد صحابيون من أبي سلمة: عمر، وَسلمة، وزينب. وَلَهَا جُمْلَةُ أَحَادِيْثَ.

رَوَى عَنْهَا كبار العلماء والفقهاء في عصرها، فمنهم: سَعِيْدُ بنُ المسَيِّبِ، وَشَقِيْقُ بنُ سَلَمَةَ، وَالأَسْوَدُ بنُ يَزِيْدَ، وَالشَّعْبِيُّ، وَأَبُو صَالِحٍ السَّمَّانُ، وَمُجَاهِدٌ، وَنَافِعُ بنُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ، وَنَافِعٌ مَوْلاَهَا، وَنَافِعٌ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ، وَعَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَشَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ، وَابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، وَخَلْقٌ كَثِيْرٌ.

ويبلُغُ مُسْنَدُهَا: ٣٧٨ حَدِيْثاً. وَاتَّفَقَ البُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ لَهَا عَلَى ١٣. وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ ب ٣، وَمُسْلِمٌ ب ١٣.

عَاشَتْ نَحْواً مِنْ تِسْعِيْنَ سَنَةً. وتوفيت – كما رجح الإمام الذهبي- سنة ٦١ هـ. وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين. [١٤١]

فانظر أيها القارئ الكريم، في شخصية أم سلمة المتحلية بالعلم والتفقه في الدين، فقد تخرج في مدرستها جبال العلم وأئمة الدين من أمثال الإمام سعيد بن المسيب، والإمام مجاهد، والإمام نافع، والإمام عطاء بن أبي رباح، وآخرين . {١}

وفقنا الله تعالى بسلوك طريقها. آمين .

---

[١٤١]- انظر: سير أعلام النبلاء: (٢/٢٠٢).

{١} فائدة : أمنا أم سلمة رضي الله عنها ، كان لها حسن الرأي والمشورة ، فكانت مع الرسول عليه الصلاة والسلام مواقف كثيرة ، ومنها في صلح الحديبية حين غضب الرسول ﷺ على الصحابة في عدم إستجابتهم بحلق رؤسهم ، فقالت احلق أنت. فلما حلق بادر الصحابة بحلق رؤسهم. وكذلك إرسال اللبن في نهار يوم عرفة فشرب الرسول عليه الصلاة والسلام ، لكي يعرف الصحابة أنه مفطر وليس صائما.

السيدة أم هانئ رضي الله عنها

وهي السيدة الفاضلة فاختة بنت أبي طالب؛ عم رسول الله ﷺ، أخت علي وجعفر – رضي الله عنهما –، وأمها فاطمة بنت أسد. كَانَتْ تَحْتَ هُبَيْرَةَ بنِ عَمْرِو بنِ عَائِذٍ المخْزُوْمِيِّ؛ فَهَرَبَ يَوْمَ الفَتْحِ إِلَى نَجْرَانَ. ولدت له: عَمْرَو بنَ هُبَيْرَةَ، وَجَعْدَةَ، وَهَانِئاً، وَيُوْسُفَ. وَأَسْلَمَتْ يَوْمَ الفَتْحِ.

دَخَلَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى مَنْزِلِهَا يَوْمَ الفَتْحِ، فَصَلَّى عِنْدَهَا ثَمَانِ رَكَعَاتٍ ضُحَىً.[١٤٢]

روت عن النبي ﷺ عدة أحاديث، *وخدمت العلم الشرعي حتى خرجت علماء عظماء وأئمة فضلاء. فمنهم: حَفِيْدُهَا؛ جَعْدَةُ، وَمَوْلاَهَا؛ أَبُو صَالِحٍ بَاذَام، وَكُرَيْبٌ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي لَيْلَى، وَمُجَاهِدُ بنُ جَبْرٍ، وَعَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَعُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ، وَآخَرُوْنَ.*[١٤٣]

بَلَغَ مُسْنَدُهَا: سِتَّةً وَأَرْبَعِيْنَ حَدِيْثاً، لَهَا مِنْ ذَلِكَ حَدِيْثٌ وَاحِدٌ فِي الصحيحين. عَاشَتْ إِلَى بعد سنة خمسين.[١٤٤]

---

[١٤٢]– صحيح البخاري: (١١٧٦).

[١٤٣]– سير أعلام النبلاء: (٣١٢/٢).

[١٤٤]– سير أعلام النبلاء: (٣١٤/٢).

الباب الخامس

الفصل الأول :

أمهات الغزاة والمجاهدين

السيدة خنساء رضي الله عنها

خنساء بنت عمرو بن الشّريد الشاعرة المشهورة، اسمها تماضر. قدمت على النبي صلّى الله عليه وسلّم مع قومها من بني سليم، فأسلمت معهم، فذكروا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يستنشدها ويعجبه شعرها، وكانت تنشده، وهو يقول: (هيه يا خناس)، ويومئ بيده.

قالوا: وكانت الخنساء تقول في أول أمرها البيتين أو الثلاثة حَتَّى قتل أخوها لأبيها وأمها معاوية بْن عَمْرو، قتله هاشم وزيد المريان، وصخر أخوها لأبيها، وَكَانَ أحبهما إليها، لأنه كَانَ حليمًا جوادًا محبوبًا فِي العشيرة، وَكَانَ غزا بني أسد فطعنه أَبُو ثور الأسدي، فمرض منها قريبًا من حول ثم مات، فلما قتل أخواها تفجرت ينابيع الشعر عندها، وراحت ترثيهما بأبلغ الأبيات وأدق المعاني، وسحر الناس في بيانها، وأعجب الشعراء والنقاد بشعرها.

فمن قولها فِي صخر أخيها:

أعيني جودا ولا تجمدا … ألا تبكيان لصخر الندى؟

ألا تبكيان الجريء الجميل؟ … ألا تبكيان الفتى السيدا؟

طويل العماد عظيم الرما … د ساد عشيرته أمردا

ولها فيه :

أشم أبلج يأتم الهداة به … كأنه علم في رأسه نار

وإن صخرا لمولانا وسيدنا … وإن صخر إذا نشتوا لنحار[١٤٥]

وأجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها.

[١٤٥]- الإصابة في تمييز الصحابة: (٨/١٠٩- ١١٠).

وأبدى الأيام فيما بعد أنها جلدة، شُجاعة، مجاهدة في سبيل الله، فشهدت القادسية ومعها أربعة بنين لها، فقالت لهم أول الليل: يا بني، إنكم أسلمتم وهاجرتم مختارين والله الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم. وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين.

واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[١٤٦]

فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين. وإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى على ساقيها، وجللت نارا على أرواقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة.

فخرج بنوها قابلين لنصحها، وتقدموا؛ فقاتلوا وهم يرتجزون، وأبلوا بلاء حسنا، واستشهدوا رحمهم الله. فلما بلغها الخبر، قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يعطي الخنساء أرزاق أولادها الأربعة، لكل واحد مائتا درهم، حتى قبض ﷺ.[١٤٧]{١}

توفيت بعد القادسية بسبع سنين سنة ٢٤ هـ في خلافة عثمان بن عفان ﷺ. وفي رواية: أنها رحلت إلى الدار الآخرة في زمن معاوية -ﷺ- في سفر البادية. والله أعلم.[١٤٨]

---

[١٤٦]- آل عمران (٢٠٠).

[١٤٧]- انظر: الاستيعاب في معرفة الإصحاب: (١٨٢٧/٤-١٨٢٩).

[١٤٨]- انظر: ٦٠ امرأة ذات كمال: (١٨).

{١} فائدة : مما يستفاد من سيرة هذه الأم: أن بينت لهم أصلهم ومعدنهم، وأنها قامت بما وجب عليها من الهجرة وغير ذلك مما كان لها أثر على أبنائها في المسارعة في عمل الخير.

السيدة عفراء رضي الله عنها

السيدة عفراء بنت عبيد الأنصارية تزوّجها الحارث بن رفاعة بن الحارث؛ فولدت له: معاذا، ومعوذا، وعوفا. وكلّهم شهدوا بدرا.[١٤٩] وبعد وفاة حارث تزوّجت البكير بن يا ليل الليثي، فولدت له أربعة: إياسا، وعاقلا، وخالدا، وعامرا، وكلّهم شهدوا بدرا.[١٥٠]

كانت والدة الغزاة في سبيل الله والشهداء، وهي *من السابقين في الإسلام، صحابية جليلة القدر عظيمة الشأن، عالية الهمة، أنجبت أبناء شِجاعا، ربتهم على حب الجهاد في سبيل الله،* نسبهم التاريخ إلى أمهم بدل أبيهم، وكانوا يفتخرون بهذه النسبة. فإذا ذكر أحدهم في كتاب من كتب التاريخ والتراجم يقال: (ابن عفراء). وأسماء بني عفراء: عوف، ومعاذ، ومعوذ.

ولما جاء يوم بدر أرسلت أبناءها الثلاثة إليه، وفي بداية القتال تَقَدَّمَ عُتْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ، وَتَبِعَهُ ابْنُهُ وَأَخُوهُ فَنَادَى: مَنْ يُبَارِزُ؟ فَانْتَدَبَ لَهُ ثلاثة شَبَاب مِنَ الْأَنْصَارِ، اثنان منهم: عوف ومعوذ ابنا عفراء، وثالثهم: عبد الله بن رواحة. فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ؛ إِنَّمَا أَرَدْنَا بَنِي عَمِّنَا.[١٥١] وهكذا أبوا إلا أقرانهم من المهاجرين.

كان بنو عفراء شجاعا أقوياء. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: إِنِّي لَفِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، إِذِ التَفَتُّ؛ فَإِذَا عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَتَيَانِ حَدِيثَا السِّنِّ، فَكَأَنِّي لَمْ آمَنْ بِمَكَانِهِمَا، إِذْ قَالَ لِي أَحَدُهُمَا سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ: يَا عَمِّ أَرِنِي أَبَا جَهْلٍ، فَقُلْتُ: يَا ابْنَ أَخِي، وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: عَاهَدْتُ اللَّهَ إِنْ رَأَيْتُهُ أَنْ أَقْتُلَهُ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ، فَقَالَ لِي الآخَرُ سِرًّا مِنْ صَاحِبِهِ مِثْلَهُ، قَالَ:

---

[١٤٩]– الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٢٤٠)، الطبقات الكبرى: (٣٣٦/٨).

[١٥٠]– الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٢٤٠).

[١٥١]– انظر: صحيح سيرت نبوي (صحيح السيرة النبوية): (٥٨٣/١)، وسنن أبي داود (٢٦٦٥) والحديث صححه الألباني.

فَمَا سَرَّنِي أَنِّي بَيْنَ رَجُلَيْنِ مَكَانَهُمَا، فَأَشَرْتُ لَهُمَا إِلَيْهِ، فَشَدَّا عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّقْرَيْنِ حَتَّى ضَرَبَاهُ، وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ.[١٥٢] وهما معاذ ومعوذ.

وعفراء هذه لها خصيصة لا توجد لغيرها، وهي أنها تزوّجت بعد الحارث البكير بن يا ليل الليثي، فولدت له أربعة: إياسا، وعاقلا، وخالدا، وعامرا، وكلّهم شهدوا بدرا، وكذلك إخوتهم لأمهم بنو الحارث، فانتظم من هذا أنها امرأة صحابية لها سبعة أولاد شهدوا كلهم بدرا مع النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم. [١٥٣]

أنزل الله عليها وعلى أبناءها الرحمة والسكينة ورضي عنهم.

---

[١٥٢]- صحيح البخاري: (٣٩٨٨).

[١٥٣]- الإصابة في تمييز الصحابة: (٨/ ٢٤٠).

السيدة أم أيمن رضي الله عنها

السيدة أُمُّ أَيمن اسمها بركة؛ مولاة رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم — وحاضنته، ورثها من أبيه وخمسة أجمال أوارك وقطعة غنم، فَأَعْتَقَهَا حين تزوج خديجة بنت خويلد، فتزوج عبيد بن زيد من بني الحارث أم أيمن، فولدت له أيمن. صحب النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وقتل يوم حنين شهيدًا. وكان زيد بن حارثة مولى خديجة، فوهبته لرسول الله؛ فأعتقه؛ وزوجه أم أيمن بعد النبوة؛ فولدت له أسامة بن زيد.

كانت أم أيمن صاحبة كرامة. قال عُثْمَانَ بْنَ الْقَاسِم: لَمَّا هَاجَرَتْ أُمُّ أَيْمَنَ؛ أَمْسَتْ بِالْمُنْصَرَفِ دُونَ الرَّوْحَاءِ، فَعَطِشَتْ وَلَيْسَ مَعَهَا مَاءٌ، وَهِيَ صَائِمَةٌ؛ فَجَهَدَهَا الْعَطَشُ؛ فَدُلِّيَ عَلَيْهَا مِنَ السَّمَاءِ دَلْوٌ مِنْ مَاءٍ بِرِشاء أَبْيَضَ، فأخذته فشربت منه؛ حَتَّى رَوِيَت، فَكَانَتْ تَقُولُ: مَا أَصَابَنِي بَعْدَ ذَلِكَ عَطَشٌ وَلَقَدْ تعرضت للعطش بِالصَّوْمِ فِي الْهَوَاجِرِ، فَمَا عَطِشْتُ بَعْدَ تِلْكَ الشَّرْبَةِ، وإن كنت لأصوم فِي الْيَوْمِ الحار فَمَا أَعْطَشُ.

وعن سفيان بن عقبة قَالَ: كانت أم أيمن تلطِّف النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وتقوم عليه.[١٥٤]

وإلى جانب خصال حسنة كثيرة *تحلت أم أيمن بحلية الجرأة والشجاعة*، فكانت في غزوة أحد مع نساء خرجن من بيوتهن للمشاركة في الجهاد. وكانت مهمتهن: سقي الماء للمجاهدين، وتداوي جرحاهم.

قال الواقدي: حضرت أم أيمن أحدا، وكانت تسقي الماء، وتداوي الجرحى، وشهدت خيبر مَعَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[١٥٥]

---

[١٥٤]– الطبقات الكبرى: (٨/١٧٩).

[١٥٥]– الإصابة في تمييز الصحابة: (٨/ ٣٦١)، والطبقات الكبرى: (٨/ ١٨٠).

ولكن تخلف ابنها أيمن عن خيبر، وهو من فرسان الصحابة، وشجاعهم، فشق ذلك على أم أيمن، فعيرته بالجبن والخوار. والحقيقة أن فرسه مرض بشرب العلف المخمر، فخلفه عن خيبر. قال سيدنا حسان بن ثابت وهو يشيد بشجاعة أيمن ويعذره عن تخلفه عن خيبر:

عَلَى حِينِ أَنْ قَالَتْ لِأَيْمَنَ أُمُّهُ ... جَبُنْتَ وَلَمْ تَشْهَدْ فَوَارِسَ خَيْبَرِ

وَأَيْمَنُ لَمْ يَجْبُنْ وَلَكِنَّ مُهْرَهُ ... أَضَرَّ بِهِ شُرْبُ الْمَدِيدِ الْمُخَمَّرِ

وَلَوْلَا الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ شَأْنِ مُهْرِهِ ... لَقَاتَلَ فِيهِمْ فَارِسًا غَيْرَ أَعْسَرَ

وَلَكِنَّهُ قَدْ صَدَّهُ فِعْلُ مُهْرِهِ ... وَمَا كَانَ مِنْهُ عِنْدَهُ غَيْرَ أَيْسَر[١٥٦]

لَمَّا صَاحَ إِبْلِيسُ في غزوة أحد أَنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ؛ تَفَرَّقَ النَّاسُ، فَمِنْهُمْ مَنْ وَرَدَ الْمَدِينَةَ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى نِسَائِهِمْ، وَجَعَلَ النِّسَاءُ يَقُلْنَ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفِرُّونَ؟ فَلَقِيَتْهُمْ أُمُّ أَيْمَنَ تَحْثِي فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ، وَتَقُولُ لِبَعْضِهِمْ: هَاكَ الْمِغْزَلَ فَاغْزِلْ بِهِ، وَهَلُمَّ سَيْفَكَ.[١٥٧]

إن هذا لموقف مليء بالشجاعة والبسالة من أم أيمن، وأكبر من هذا أن زوجها زيدا وابنها أيمن استشهد خلال عام واحد، فاحتسبت شهادتهما عند الله، وآثرت رضى الله ورسوله. وقد كان هذا دور أنموذجي.

والآن نأتي إلى تفاصيل شهادة زيد وأيمن:

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَمَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ

---

[١٥٦]- سيرة ابن هشام: (٢/٣٤٧- ٣٤٨).

[١٥٧]- دلائل النبوة للبيهقي: (٣/ ٣١٠-٣١١).

قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ»[158]. وكان كما أخبر الرسول ﷺ، فقتل زيد، ثم جعفر، ثم عبد الله بن رواحة، ثم أمر الناس خالدا بن الوليد.

ولما بلغ أم أيمن خبر قتل زيد في هذه الغزوة؛ صبرت واحتسبت، واحتملت المصيبة باستقامة، ولم تجر على لسانها كلمة توجع.

اتجه النبي ﷺ والمسلمون سنة ٨ هـ بعد فتح مكة إلى حنين، ولكن سبقت هوازن المسلمين إلى وادي حنين، واختاروا مواقعهم وبثوا كتائبهم في شعابه، ومنعطفاته وأشجاره، وكانت خطتهم تتمثل في مباغتة المسلمين بالسهام أثناء تقدمهم في حنين المنحدر.

لقد باغت المشركون المسلمين وأمطرهم الأعداء من جميع الجهات، فاضطربت صفوفهم وماج بعضهم في بعض، ونتيجة لهول هذا الموقف انهزم معظم الجيش ولاذوا بالفرار، كل يطلب النجاة لنفسه، وبقي الرسول ﷺ ونفر قليل في الميدان يتصدون لهجمات المشركين.[159]

وكان من بين هذا النفر القليل سيدنا أيمن، قاتل يدافع عن النبي ﷺ حتى استشهد. وهو الذي عنى العباس بْن عبد المطلب بقوله:

نصرنا رَسُول اللَّهِ في الدين سبعة ... وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا

وثامننا لاقى الحمام بنفسه ... بما مسه في الدين لا يتوجع

الثامن هو سيدنا أيمن. وأما السبعة فهم: العباس، وعلي، والفضل بْن عباس، وَأَبُو سفيان بْن الحارث بْن عبد المطلب وأسامة بن زيد، وأبو بكر، وعمر رضي الله عنهم أجمعين.[160]

[158]- صحيح البخاري: (٤٢٦١).

[159]- السيرة النبوية للصلابي: (٧٨٣).

[160]- أسد الغابة: (١/ ١٨٩).

كانت أم أيمن مكرمة عند الناس في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته على سواء، فعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ. فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا.[١٦١]

قد أدركت أم أيمن حق الإدراك عظم قدر ما أنعم به بنو آدم في حياة النبي ﷺ وخاصة المؤمنون منهم من الاتصال المباشر بين الله والإنسان عن طريق الوحي، بل هي التي وجهت إلى هذه النقطة تفكير الصحابة أمثال أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-. كيف لا، وقد أوتيت حظا من المعرفة بمقام النبوة بحبها للنبي ﷺ، وأمومتها له، والعلاقة العاطفية معه. وكانت تستأهل التقدير والإكرام الذي يغمرها به النبي ﷺ.[١٦٢]

اختلفوا في تاريخ وفاتها، يقول ابن شهاب الزهري: تُوُفِّيَتْ بَعْدَ مَا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ.[١٦٣] وقَالَ الوَاقِدِيُّ: مَاتَتْ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ.[١٦٤]

وخلاصة القول أن السيدة أم أيمن هاجرت من مكة إلى المدينة ماشية على الأقدام. وكانت صوامة، متنحية، بكاءة من خشية الله. عطشت في سفر الهجرة، فَدُلِّيَ عَلَيْهَا مِنَ السَّمَاءِ دَلْوٌ مِنْ مَاءٍ بِرِشَاءٍ أَبْيَضَ، فَأَخَذَتْهُ فَشَرِبَتْ مِنْهُ حَتّى رَوِيَتْ، فلم يصبها العطش من بعد.

---

[١٦١]- صحيح مسلم: (٢٤٥٤).

[١٦٢]- ترجمة صحيح مسلم وفوائد مختصرة للبروفيسور مُحَمَّد يحي سلطان محمود جلال بوري. (أردو): (٤/٦٠٧).

[١٦٣]- صحيح مسلم: (١٧٧١).

[١٦٤]- سير أعلام النبلاء: (٢/ ٢٢٧).

السيدة أم عمارة رضي الله عنها

وهي نسيبة بنت كعب، تزوجها زيد بن عاصم رضي الله عنه، فولدت له عبد الله وحبيبًا، صحبا النبي ﷺ. وبعد وفاة زيد بن عاصم تزوجها غزية بن عمرو المازني النجاري رضي الله عنه، فولدت له تميمًا وخولة.[١٦٥]

كانت أم عمارة جريئة عالية الهمة، حضرت ليلة العقبة وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم. تحكي قصة بيعتها فتقول: كانت الرّجال تصفّق على يدي رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وآله وسلّم ليلة العقبة، والعبّاس أخذ بيد رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم، فلما بقيت أنا وأم سبيع نادى زوجي غزية بن عمرو: يا رسول اللَّه، هاتان امرأتان حضرتا معنا يبايعنك. فقال: «قد بايعتهما على ما بايعتكم عليه، إنّي لا أصافح النّساء».[١٦٦]

وإضافة إلى ذلك فقد شهدت أحدًا، والحديبية، وخيبر، وعمرة القضية، وحنينًا، ويوم اليمامة.[١٦٧]

شَهِدَتْ أُمُّ عُمَارَةَ بِنْتُ كَعْبٍ أُحُدًا مَعَ زَوْجِهَا غَزِيَّةَ بْنِ عَمْرٍو وَابْنَيْهَا، وَخَرَجَتْ مَعَهُمْ بِشَنٍّ لَهَا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ تُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَ الْجَرْحَى. فَقَاتَلَتْ يَوْمَئِذٍ وَأَبْلَتْ بَلاءً حَسَنًا، وَجُرِحَتِ اثْنَيْ عَشَرَ جُرْحًا بَيْنَ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ أَوْ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ.

فكانت أم سعيد بِنْتُ سعد تقول: دَخَلْتُ عَلَيْهَا؛ فقلت: حَدِّثِينِي خبرك يوم أحد. قَالَتْ: خَرَجْتُ أَوَّلَ النَّهَارِ إِلَى أُحُدٍ وَأَنَا أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ، وَمَعِي سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ؛ فَانْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ وَالدولة وَالريح لِلْمُسْلِمِينَ. فَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ

---

[١٦٥]- الطبقات الكبرى: (٨/ ٣٠٣)، والإصابة: (٨/٤٤١).

[١٦٦]- الإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ٤٤٢)، وانظر: سنن ابن ماجه: (٢٨٧٤)، وسنن النسائي: (٤١٨١).

[١٦٧]- الطبقات الكبرى: (٨/ ٣٠٣).

انْحَزت إِلَى رسول الله؛ فجعلت أُبَاشِرُ الْقِتَال، وَأَذُبُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ بِالسَّيْف، وَأَرْمِي بِالْقَوْسِ حَتَّى خَلَصَتْ إِلَيَّ الْجِرَاح. قَالَتْ: فَرَأَيْتُ عَلَى عَاتِقِهَا جُرْحًا لَهُ غَوْرٌ أَجْوَفُ.

فَقُلْتُ: يَا أُمَّ عُمَارَةَ مَنْ أَصَابَكِ هذا؟ قالت: أَقْبَلَ ابْنُ قميئة –وَقَدْ وَلَّى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ– يصيح: دلونِي عَلَى مُحَمَّد؛ فَلا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا. فَاعْتَرَضَ لَهُ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَنَاسٌ مَعَهُ. فَكُنْتُ فِيهِمْ فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضَّرْبَةَ وَلَقَدْ ضَرَبْتُهُ عَلَى ذَلِكَ ضَرَبَاتٍ، وَلَكِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ كَانَ عَلَيْهِ دِرْعَانِ.[١٦٨]

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ يَقُولُ: شَهِدْتُ أُحُدًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ. فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْهُ؛ دَنَوْتُ مِنْهُ أَنَا وَأُمِّي نَذُبُّ عَنْهُ. فَقَالَ: ابْنُ أُمِّ عُمَارَةَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: ارْمِ. فَرَمَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلا مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِحَجَرٍ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ، فَأَصَبْتُ عين الفرس، فَاضْطَرَبَ الْفَرَسُ حَتَّى وَقَعَ هُوَ وَصَاحِبُهُ. وَجَعَلْتُ أَعْلُوهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى نَضَدْتُ عَلَيْهِ مِنْهَا وَقْرًا. وَالنَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَنْظُرُ يَتَبَسَّمُ.

وَنَظَرَ جُرْحَ أُمِّي عَلَى عَاتِقِهَا فَقَالَ: أُمُّكَ أُمُّكَ. اعْصِبْ جَرْحَهَا. بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ أهل بيت. مَقَامُ أُمُّكِ خَيْرٌ مِنْ مَقَامِ فُلانٍ وَفُلانٍ. رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَهْلِ الْبَيْتِ. وَمَقَامُ رَبِيبِكَ يَعْنِي: زَوْجَ أُمِّهِ، خَيْرٌ مِنْ مَقَامِ فُلانٍ وَفُلانٍ. رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَهْلِ الْبَيْتِ. قَالَتْ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ نُرَافِقَكَ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَ: اللَّهُمُ اجْعَلْهُمْ رُفَقَائِي فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَتْ: مَا أُبَالِي مَا أَصَابَنِي مِنَ الدُّنْيَا.[١٦٩]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: جُرِحْتُ يَوْمَئِذٍ جُرْحًا فِي عَضُدِي الْيُسْرَى. ضَرَبَنِي رَجُلٌ كَأَنَّهُ الرقل وَلَمْ يُعَرِّجْ عَلَيَّ وَمَضَى عَنِّي. وَجَعَلَ الدَّمُ لا يَرْقَأُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: اعْصِبْ جُرْحَكَ. فَتُقْبِلُ أُمِّي إِلَيَّ وَمَعَهَا عَصَائِبُ فِي حَقْوَيْهَا قَدْ أَعَدَّتْهَا لِلْجِرَاح، فَرَبَطَتْ جُرْحِي.

---

[١٦٨]– الطبقات الكبرى: (٨/ ٣٠٣–٣٠٤).

[١٦٩]– الطبقات الكبرى: (٨/ ٣٠٥).

وَالنَّبِيُّ وَاقِفٌ يَنْظُرُ إِلَيَّ. ثُمَّ قَالَتْ: انْهَضْ بُنَيَّ، فَضَارِبِ الْقَوْمَ. فَجَعَلَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ: وَمَنْ يُطِيقُ مَا تُطِيقِينَ يَا أُمَّ عُمَارَةَ!

قَالَتْ: وَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي ضَرَبَ ابْنِي. فَقَالَ رَسُولُ الله: هَذَا ضَارِبُ ابْنِكِ. قَالَتْ: فَأَعْتَرِضُ لَهُ فَأَضْرِبُ ساقه فبرك. قالت: فرأيت رسول الله يَتَبَسَّمُ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ وَقَالَ: اسْتَقَدْتِ يَا أُمَّ عُمَارَةَ. ثُمَّ أَقْبَلْنَا نَعُلُّهُ بِالسِّلاحِ حَتَّى أتينا على نفسه. فقال النبي. ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ظَفَرَكِ وَأَقَرَّ عَيْنَكِ مِنْ عَدُوِّكِ وَأَرَاكِ ثَأْرَكِ بِعَيْنِكِ.[١٧٠]

وإلى جانب الشجاعة وعلو الهمة، فقد تحلت السيدة أم عمارة بالصبر والثبات، فلما قتل مسيلمة الكذاب ابنها حبيب بن زيد؛ صبرت واحتسبت، ولم يصبها القلق والاضطراب. وتفصيل القصة كالتالي:

لما ظهر مسيلمة الكذاب في اليمامة، وادعى النبوة –وهو فيها كاذب–؛ كتب إليه رسول الله ﷺ رسالة يدعوه إلى الإسلام والتوبة عن الضلالة والكذب، وحمل الرسالة إلى مسيلمة حبيب بن زيد الأنصاري، فعندما سلمه الرسالة قال له مسيلمة الكذاب: أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقول : نعم، فيقول له: أو تشهد أني رسول الله؟ فيقول: أنا أصم لا أسمع، ففعل ذلك مرارا، وكان في كل مرة لا يجيبه فيها حبيب إلى طلبه يقتطع من جسمه عضوا، ويبقى حبيب محتسبا صابرا إلى أن قطعه إربا إربا؛ فاستشهد رضي الله عنه بين يديه[١٧١] هو مؤمن بالرسول محمد ﷺ. ولما بلغ ذلك أم عمارة ثبتت كالجبار الراسخات، وصبرت غاية الصبر واحتسبته عند الله.

ولما وقعت في عهد أبي بكر الصديق حرب اليمامة ضد مسيلمة؛ حضرتها مع ابنها عبد الله بن زيد، فقاتلت قتال الأبطال، وقطعت يدها وجرحت سِوَى يَدِهَا أَحَدَ عَشر

---

[١٧٠]– الطبقات الكبرى ط العلمية (٨/ ٣٠٤–٣٠٥)

[١٧١]– الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبو بكر الصديق: (٢٦٣–٢٦٤)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٣٢٠).

جُرْحًا، فانصرفت إلى المدينة وَبِهَا الْجِرَاحَةُ. فكان أبو بكر –وهو خليفة– يعودها ويسأل عن حالها.[١٧٢]

وقدر اللَّه تعالى في اليمامة أن شارك عبد الله بن زيد وحشيا في قتل مسيلمة، رماه وحشي بالحربة، وضربه عَبْد اللَّهِ بْن زيد بالسيف فقتله.[١٧٣] وهكذا أخذ من مسيلمة ثار أخيه حبيب بن زيد.

ولقد كانت أم عمارة امرأة فاضلة، مجاهدة في سبيل الله، من المؤمنات حقا. توفيت سنة ١٣ هـ[١٧٤] . أنزل الله عليها الرحمة والسكينة، وأدخلها فسيح جناته.

---

[١٧٢]– الطبقات الكبرى: (٨/ ٣٠٦).

[١٧٣]– أسد الغابة: (١٤٦/٣).

[١٧٤]– الأعلام للزركلي: (٨/ ١٩).

الفصل الثاني

السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها

أسماء بنت أبي بكر الصديق، وكان عبد الله بن أبي بكر أخاها شقيقها. وأمهما قيلة ، وقيل: قتيلة بنت عبد العزى. ولدت قبل (الهجرة) بسبع وعشرين سنة ، وكان عمر أبيها لما ولدت نيفا وعشرين سنة. وكانت أسن من عائشة وهي أختها لأبيها. وأسلمت بعد سبعة عشر إنسانا.[١٧٥]

وكانت لا تدخر وسعا في خدمة الدين. قالت أسماء: صَنَعْتُ سُفْرَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ، حِينَ أَرَادَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى المدِينَةِ، قَالَتْ: فَلَمْ نَجِدْ لِسُفْرَتِهِ، وَلاَ لِسِقَائِهِ مَا نَرْبِطُهُمَا بِهِ، فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: «وَاللَّهِ مَا أَجِدُ شَيْئًا أَرْبِطُ بِهِ إِلَّا نِطَاقِي»، قَالَ: فَشُقِّيهِ باثْنَيْنِ، فَارْبِطِيهِ: بِوَاحِدٍ السِّقَاءَ، وَبِالْآخَرِ السُّفْرَةَ، «فَفَعَلْتُ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ»[١٧٦]

تحملت كثيرا من المشاق في سبيل الدين، تقول نفسها: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ، أَتَى نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ أَبُو جَهْلٍ، فَوَقَفُوا عَلَى بَابِ أَبِي بَكْرٍ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا: أَيْنَ أَبُوكَ؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي وَاللَّهِ أَيْنَ أَبِي، فَرَفَعَ أَبُو جَهْلٍ يَدَهُ وَكَانَ فَاحِشًا خَبِيثًا فَلَطَمَنِي عَلَى خَدِّي لَطْمَةً طُرِحَ مِنْهَا قُرْطِي.[١٧٧]

تزوجها الزبير بن العوام، وكان فقيرا لا مال له، فصبرت على فقره واحتسبت، وهي تتحدث عن ذلك فتقول: تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ، وَمَا لَهُ شَيْءٌ غَيْرُ فَرَسِهِ؛ فَكُنْتُ أَسُوْسُهُ، وَأَعْلِفُهُ، وَأَدُقُّ لِنَاضِحِهِ النَّوى، وَأَسْتَقِي، وَأَعْجِنُ، وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُوْلُ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى رَأْسِي.[١٧٨]

---

[١٧٥]– أسد الغابة: (٦/٩).

[١٧٦]– صحيح البخاري: (٢٩٧٩، ٣٩٠٧).

[١٧٧]– تاريخ الإسلام: (١/ ٦٧٧).

[١٧٨]– سير أعلام النبلاء: (٢/ ٢٩٠-٢٩١)

كانت عابدة، سخية النفس، تحث النساء على الصدقة، جريئة، عالية الهمة، ومصداقا لقول الله تعالى: ((وقولوا قولا سديدا))[١٧٩].

الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي: قائد، داهية، سفاك، خطيب. ولد سنة ٤٠ هـ ونشأ في الطائف، وانتقل إلى الشام ؛ فلحق بروح بن زنباع ؛ نائب عبد الملك بن مروان، فكان في عديد شرطته.

ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جموعه ، فولاه عبد الملك مكة ، والمدينة ، والطائف ، ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه ، فانصرف إلى بغداد في ثمانية أو تسعة رجال على النجائب ، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة . وبنى مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة) . وكان سفاكا سفاحا باتفاق معظم المؤرخين.

أطاعه أناس وعصاه أناس. وهو أول من ضرب درهما عليه (لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله)، وأول من بنى مدينة بعد الصحابة في الإسلام. إن امرأة من المسلمين سبيت في الهند فنادت ياحجاجاه، فاتصل به ذلك فجعل يقول: لبيك لبيك، وأنفق سبعة آلاف درهم حتى أنقذ المرأة.[١٨٠]

وَقال حِينَ احْتُضِرَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي فَإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لا تَفْعَلُ. وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ: قَالَ الْحَجَّاجُ لَمَّا احتضر:

يَا رَبِّ قَدْ حَلِفَ الأَعْدَاءُ وَاجْتَهَدُوا ... بِأَنَّنِي رَجُلٌ مِنْ سَاكِنِي النَّارِ
أَيَحْلِفُونَ عَلَى عَمْيَاءَ وَيْحَهُمُ ... مَا عِلْمُهُمْ بِكَثِيرِ الْعَفْوِ سَتَّارِ

[١٧٩]- الأحزاب: (٧٠).
[١٨٠]- الأعلام للزركلي: (٢/ ١٦٨).

تُوُفِّيَ لَيْلَةَ ٢٧ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ٩٥ هـ .[١٨١]

قَالَ عُرْوَةُ: دَخَلْتُ أَنَا وَأَخِي قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ بِعَشْرِ لَيَالٍ عَلَى أُمِّنَا ، وَهِيَ وَجِعَةٌ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: كَيْفَ تَجِدِيْنَكِ؟ قَالَتْ: وَجِعَةٌ. قَالَ: إِنَّ فِي الموْتِ لَعَافِيَةً. قَالَتْ: لَعَلَّكَ تَشْتَهِي مَوْتِي؛ فَلاَ تَفْعَلْ. وَضَحِكَتْ، وَقَالَتْ: وَاللهِ، مَا أَشْتَهِي أَنْ أَمُوْتَ حَتَّى تَأْتِيَ عَلَى أَحَدِ طَرَفيكَ: إِمَّا أَنْ تُقْتَلَ فَأَحْتَسبكَ؛ وَإِمَّا أَنْ تَظْفَرَ فَتَقَرَّ عَيْنِي، إِيَّاكَ أَنْ تُعْرَضَ عَلَى خُطَّةٍ فَلاَ توافق، فتقبلها كَرَاهِيَةَ الموْتِ.[١٨٢]

عن أبي نوفل قال: رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة. قال: فجعلت قريش تمر عليه والناس. حتى مرّ عليه عبد الله بن عمر. فوقف عليه. فقال: السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، أما والله، لقد كنت أنهاك عن هذا. أما والله، لقد كنت أنهاك عن هذا. أما والله، لقد كنت أنهاك عن هذا. أما والله، إن كنت ما علمت، صوّاما، قوّاما، وصولا للرحم. أما والله، لأمّة أنت أشرّها لأمّة خير. ثم نفذ عبد الله بن عمر. فبلغ الحجّاج موقف عبد الله وقوله، فأرسل إليه. فأنزل عن جذعه، فألقي في قبور اليهود.

ثم أرسل إلى أمّه أسماء بنت أبي بكر، فأبت أن تأتيه. فأعاد عليها الرسول: لتأتينّي أو لأبعثنّ إليك من يسحبك بقرونك. قال: فأبت وقالت: والله، لا آتيك حتى تبعث إليّ من يسحبني بقروني. قال: فقال: أروني سبتيّ. فأخذ نعليه. ثم انطلق يتوذّف. حتى دخل عليها. فقال: كيف رأيتني صنعت بعدوّ اللّهِ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُكَ أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ، وَأَفْسَدَ عليك آخرتك.

بلغني أنّك تقول له: يا ابن ذات النطاقين، أنا، والله، ذات النطاقين، أمّا أحدهما: فكنت أرفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وطعام أبي بكر من الدّوابّ. وأما الآخر

[١٨١]- تاريخ الإسلام: (٢/ ١٠٧٨).

[١٨٢]- سير أعلام النبلاء: (٢/ ٢٩٣).

فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه. أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا «أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا» فأمّا الكذّاب، فرأيناه. وأما المبير فلا إخالك إلّا إيّاه. فقام عنها ولم يراجعها.[١٨٣]

عَاشَتْ مِائَةَ سَنَةٍ وَلَمْ يَسْقُطْ لَهَا سِنٌّ، ولم يضعف عقلها، ولكن ذهب بصرها. وكفنت ابنها عبد الله ابن الزبير، وصلت عليه. *وكانت صابرة، شاكرة، زاهدة، عابدة، صادقة، ذاكرة.*

توفيت في مكة بعد وفاة ابنها بليال[١٨٤]. وفي رواية: لما أنزل ابن الزبير من الخشبة عاشت بعد ذلك عشرة أيام، وقيل: عشرون يوما، وقيل: بضع وعشرون يوما، وقد قتل ابنها عبد الله سنة ٧٣ هـ .[١٨٥]

١٨٣- صحيح مسلم: (٢٥٤٥).

١٨٤- تاريخ الإسلام: (٢/ ٧٨٥).

١٨٥- أسد الغابة: (٩/٦).

أم الدرداء الصغرى

وهي *السَّيِّدَةُ، العَالِمَةُ، الفَقِيْهَةُ*، هُجَيْمَةُ الأَوْصَابِيَّةُ الدِّمَشْقِيَّةُ.[١٨٦]

رَوَتْ عِلْماً جَمّاً عَنْ: زَوْجِهَا؛ أَبِي الدَّرْدَاءِ. وَعَنْ: سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ، وَكَعْبِ بنِ عَاصِمٍ الأَشْعَرِيِّ، وَعَائِشَةَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَطَائِفَةٍ.

وَعَرَضَتِ القُرْآنَ وَهِيَ صَغِيْرَةٌ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، *وَطَالَ عُمُرُهَا، وَاشْتَهَرَتْ بِالعِلْمِ وَالعَمَلِ وَالزُّهْدِ.*

وخلفت -كصدقة جارية- عددا كبيرا من تلاميذها. فمنهم: جُبَيْرُ بنُ نُفَيْرٍ، وَأَبُو قِلاَبَةَ الجَرْمِيُّ، وَسَالِمُ بنُ أَبِي الجَعْدِ، وَرَجَاءُ بنُ حَيْوَةَ، وَيُوْنُسُ بنُ مَيْسَرَةَ، ومَكْحُوْلٌ، وَعَطَاءٌ الكَيْخَارَانِيُّ، وَإِسْمَاعِيْلُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بنِ أَبِي المهَاجِرِ، وَزَيْدُ بنُ سَالِمٍ، وَأَبُو حَازِمٍ الأَعْرَجُ، وَإِبْرَاهِيْمُ بنُ أَبِي عَبْلَةَ، وَعُثْمَانُ بنُ حَيَّانَ المرِّيُّ.[١٨٧]

قَال عنها تلميذها مكحول: كانت أم الدرداء فقيهة. وقال عَوْنِ بنِ عَبْدِ اللهِ: كنا نأتي أم الدردَاءِ، فنذكر اللهَ عِنْدَهَا.[١٨٨]

حَجَّتْ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِيْنَ.[١٨٩] وكانت تقيم ستة أشهر ببيت المقدس، وستة أشهر بدمشق، وماتت بعد سنة إحدى وثمانين.[١٩٠]

فمما مضى من البحث يتضح أن السيدة أم الدرداء الصغرى جمعت إلى جانب العلم والفقه والفضل، كثرة العبادة والزهد في الدنيا.

---

[١٨٦]- كانت لأبي الدرداء -ﷺ- زوجتان، تكنى كل منهما بأم الدرداء. إحداهما أُمُّ الدَّرْدَاءِ الكُبْرَى ولَهَا صُحْبَةٌ. وأخراهما أُمُّ الدَّرْدَاءِ الصغرى، وكانت تابعية.

[١٨٧]- سير أعلام النبلاء: (٢٧٧/٤).

[١٨٨]- سير أعلام النبلاء: (٢٧٨/٤).

[١٨٩]- سير أعلام النبلاء: (٢٧٩/٤).

[١٩٠]- تهذيب التهذيب: (٤٦٦/١٢).

هـذا وقـد ألصـق الـدكتور مُحَمَّد أكـرم النـدوي علـى ص ١٠ مـن كتابـه الإنكليـزي (المحدثات) (Al-Muhaddithat) صورة المسجد الذي كانت تدرس فيه أم الدرداء، فليرجع إليه من يريد التفصيل.

السيدة أم عطية رضي الله عنها

اسْمُهَا: نَسِيْبَةُ بِنْتُ الحَارِثِ، وَقِيْلَ: نَسِيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ، *مِنْ فُقَهَاءِ الصَّحَابَةِ، لَهَا عِدَّةُ أَحَادِيْث. وَهِيَ الَّتِي غَسَّلَتْ بِنْتَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- زَيْنَب.*[١٩١]

حَدَّثَ عَنْهَا: مُحَمَّدُ بنُ سِيْرِيْنَ، وَأُخْتُهُ؛ حَفْصَةُ بِنْتُ سِيْرِيْنَ، وَأُمُّ شَرَاحِيْلَ، وَعَلِيُّ بنُ الأَقْمَرِ، وَعَبْدُ المَلِكِ بنُ عُمَيْرٍ، وَإِسْمَاعِيْلُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعِدَّةٌ.

حَدِيْثُهَا مُخَرَّجٌ فِي الكُتُبِ السِّتَّةِ.

عَاشَتْ إِلَى حُدُوْدِ سَنَةِ سَبْعِيْنَ.[١٩٢]

أيها القارئ الكريم، فما ظنك في فضل المرأة التي من بين تلاميذها التابعي الجليل الإمام مُحَمَّد بن سيرين، وأخته الفاضلة حفصة بنت سيرين؟

---

[١٩١]- صحيح البخاري: (١٢٥٣).

[١٩٢]- سير أعلام النبلاء: (٣١٨/٢).

عَمْرَةُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رحمها الله

السيدة عمرة بنت عبد الرحمن الأَنْصَارِيَّةُ، النَّجَّارِيَّةُ، المَدَنِيَّةُ، تَرْبِيَةُ عَائِشَةَ وَتِلْمِيْذَتُهَا.

حَدَّثَتْ عَنْ: عَائِشَةَ، وَأُمِّ سَلَمَةَ، وَرَافِعِ بنِ خَدِيْجٍ، وَأُخْتِهَا؛ أُمِّ هِشَامٍ بِنْتِ حَارِثَةَ.

وحَدَّثَ عَنْهَا: وَلَدُهَا؛ أَبُو الرِّجَالِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَابْنَاهُ؛ حَارِثَةُ وَمَالِكٌ، وَابْنُ أُخْتِهَا؛ القَاضِي أَبُو بَكْرِ بنُ حَزْمٍ، وَابْنَاهُ؛ عَبْدُ اللهِ وَمُحَمَّدٌ، وَالزُّهْرِيُّ، وَيَحْيَى بنُ سَعِيْدٍ الأَنْصَارِيُّ، وَآخَرُوْنَ.

وَكَانَتْ عَالِمَةً، فَقِيْهَةً، حُجَّةً، كَثِيْرَةَ العِلْمِ. فعَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ القَاسِمِ بنِ مُحَمَّدٍ: أَنَّهُ قَالَ لِي: يَا غُلاَمُ، أَرَاكَ تَحْرِصُ عَلَى طَلَبِ العِلْمِ، أَفَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى وِعَائِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: عَلَيْكَ بِعَمْرَةَ، فَإِنَّهَا كَانَتْ فِي حَجْرِ عَائِشَةَ. *قَالَ: فَأَتيتها، فوجدتها بحرا لا ينزف.*

اخْتَلَفُوا فِي وَفَاتِهَا، فَقِيْلَ: تُوُفِّيَتْ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِيْنَ. وَقِيْلَ: تُوُفِّيَتْ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَمائَةٍ. وَحَدِيْثُهَا كَثِيْرٌ فِي دَوَاوِيْنِ الإِسْلاَمِ.[١٩٣]

فمن قول الإمام الزهري يتجلى أن السيدة عمرة – رحمها الله- كانت في الحقيقة بحر العلم، وأنها أروت عطشى العلم حتى ارتووا، فخرجوا من مدرستها أئمة علماء. فرحمة الله عليها رحمة واسعة.

[١٩٣]- سير أعلام النبلاء: (٤/٥٠٧-٥٠٨).

حفصة بنت سيرين رحمها الله

وهي التابعية الجليلة أم الهذيل أخت الإمام مُحَّد بن سرين.[١٩٤]

روت عن أخيها يحي، وأنس بن مالك، وأم عطية الأنصارية، والرباب أم الرائح، وأبي العالية، وأبي ذبيان خليفة بن كعب، والربيع بن زياد الحارثي، وخيرة أم الحسن البصري، وسلمان بن عامر الضبي، وجماعة.[١٩٥] نستطيع تقدير ما جمعت لديها من العلم والفضل من خلال ملاحظة شيوخها الفضلاء وأساتذتها العظماء؛ ففيهم الصحابة وأجلة التابعين.

وحينما نقوم بتتبع تلاميذها؛ يظهر لنا جليا أنها بلغت الدين حق البلاغ، ونشرت العلم حق النشر؛ وصارت مصداق قول النبي ﷺ ((بلغوا عني ولو آية))[١٩٦].

فممن رَوَى عَنْهَا: أَخُوْهَا؛ مُحَّد، وَقَتَادَة، وَأَيوب، وَخَالد الحَذَّاء، وَابن عون، وَهِشَامُ بنُ حَسَّانٍ.

قال إِيَاسِ بنِ مُعَاوِيَةَ: مَا أَدْرَكْتُ أَحَداً أُفَضِّلُهُ عَلَيْهَا. وَقَالَ: *قَرَأَتِ القُرْآنَ وَهِيَ بِنْتُ* ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَعَاشَتْ سَبْعِيْنَ سَنَةً، فَذَكَرُوا لَهُ الحَسَنَ وَابْنَ سِيْرِيْنَ، فَقَالَ: أَمَّا أَنَا فَمَا أُفَضِّلُ عَلَيْهَا أَحَداً.[١٩٧]

وعَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ قَالَتْ: سَأَلَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ بِأَيِّ شَيْءٍ تُحِبِّينَ أَنْ تَمُوتِي؟ قُلْتُ: بالطاعُونِ. قَالَ: فَإِنَّهُ شَهَادَةٌ لِكل مُسْلِم.[١٩٨]

ماتت سنة ١٠١ هـ كما قال الحافظ ابن حجر[١٩٩]. رحمها الله رحمة واسعة.

---

[١٩٤]- الطبقات الكبرى: (٨/ ٣٥٢).

[١٩٥]- تهذيب التهذيب: (١٢/٤٠٩).

[١٩٦]- صحيح البخاري: (٣٤٦١).

[١٩٧]- سير أعلام النبلاء: (٤/٥٠٧).

[١٩٨]- الطبقات الكبرى لابن سعد: (٨/٣٥٢).

[١٩٩]- تهذيب التهذيب: (١٢/٤١٠).

شهدة البغدادية

محدثة القرن السادس الهجري فخر النساء، شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج الكاتبة، البغدادية المولد والوفاة. *كانت من العلماء، وكتبت الخط الجيد*، واشتهر ذكرها وبعد صيتها، *وكان لها السماع العالي ألحقت فيه الأصاغر بالأكابر*.

سمعت من أبي الخطاب نصر بن أحمد بن البطر، وأبي عبد الله الحسين ابن أحمد بن طلحة النعالي، وطراد بن مُحَمَّد الزينبي، وغيرهم مثل: أبي الحسن علي ابن الحسين بن أيوب، وأبي الحسين أحمد بن عبد القادر بن يوسف، وفخر الإسلام أبي بكر مُحَمَّد بن أحمد الشاشي.[٢٠٠]

روى عَنْهَا الحفاظ الكبار والعلماء العظام: أَبُو القاسم ابن عساكر، وأبو سعد السمعاني، وأبو مُحَمَّد عَبْد الغني -صاحب (عمدة الأحكام)-، وعبد القادر الرهاوي، وعبد العزيز ابن الأخضر، وأبو الفرج ابن الْجَوْزي -صاحب التصانيف-، وأبو مُحَمَّد بْن قُدَامة - صاحب المغني-، والعماد إِبْرَاهِيم بْن عَبْد الواحد، والبهاء عَبْد الرَّحْمَن، والشهاب بْن راجح، والقاضي أَبُو صالح الْجِيلي، والناصح ابْن الحنبلي، والفخر الإربلي، وعبد الرزاق بْن سُكَيْنَة، وشيخ الشيوخ أَبُو مُحَمَّد بْن حَمُّوَيْه، والأعز ابْن العُليق، وإبراهيم بْن الخير، وأبو الحسن ابن الْجُمَّيْزي، وأبو القاسم بْن قميرة، ومُحَمَّد بْن مقبل ابن المني، وخلق كثير.[٢٠١]

قال ابْن الدبيثي: امْرَأَة جليلة صالحة، ذات دِين، وورع، وعبادة.

وقال أبو الفرج ابن الْجَوْزي: قرأت عليها كثيرًا من حديثها. وكان لها خطٌ حَسَن. وتزوَّجت ببعض وُكَلاء الخليفة، وعاشت مخالِطة للدار ولأهل العلم. وكان لها بِر وخير. وقرِئ

[٢٠٠]- وفيات الأعيان: (٢/٤٧٧).

[٢٠١]- تاريخ الإسلام: (١٢/٥٣٨).

عليها الحديث سِنين، وعُمرت حتى قاربت المائة. وتُوفيت ليلة الإثنين رابع عشر المحرم —سنة ٥٧٤هـ-.[٢٠٢]

هذا، وأصرف النظر من فخر النساء إلى نساء عصرنا هذا؛ فيذوب القلب أسفا على عدم بضاعتهن في العلم والدين. فالله أسأل أن يهديهن طريق السلف القويم.

[٢٠٢]- تاريخ الإسلام: (١٢/٥٣٨).

كَرِيْمَةُ أُمّ الكِرَامِ المَرْوَزِيَّةُ

محدثة القرن الخامس الهجري، المشتهرة في الآفاق، الشَّيْخَةُ، العَالِمَةُ، الفَاضِلَةُ، المسْنِدَةُ، أُمُّ الكِرَامِ كَرِيْمَةُ بِنْتُ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حَاتِمٍ المَرْوَزِيَّةُ؛ ولدت في المرو (إحدى مدن إيران).

سَمِعَت: مِنْ أَبِي الهَيْثَمِ الكُشْمِيْهَنِي صَحِيْح البُخَارِيّ، وَسَمِعَتْ مِنْ زَاهِر بن أَحْمَدَ السَّرْخَسِيّ، وَعَبْدِ اللهِ بنِ يُوْسُفَ بنِ بامُويه الأَصْبَهَانِيّ. وَلَهَا فَهْمٌ وَمَعْرِفَة مَعَ الخَيْر وَالتَّعبد.[٢٠٣]

ومما يدل على بصيرتها، وتبحرها وطول باعها في العلم والحديث أن حَدَّثَ عَنْهَا: جامع العلوم الخَطِيْبُ البغدادي، وأبو عبد الله الحميدي صاحب (الجمع بين الصحيحين)، وَأَبُو المظَفَّرِ مَنْصُوْرُ بنُ السَّمْعَانِيّ صاحب المؤلفات، وَأَبُو الغَنَائِمِ النَّرْسِيّ، وَأَبُو طَالِبٍ الحُسَيْنُ بنُ مُحَمَّدٍ الزَّيْنَبِيّ، وَمُحَمَّدُ بنُ بَرَكَات السَّعيدي، وَعَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ الفَرَّاء، وَعَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ صَدَقَة بن الغَزَال، وَأَبُو القَاسِمِ عَلِيُّ بنُ إِبْرَاهِيْمَ النَّسِيْب، وَآخَرُوْن.[٢٠٤]

وقد قرأ عليها الخطيب البغدادي صحيح البخاري في أيام موسم الحج في خمسة أيام.[٢٠٥] ولها سند عال. وكذلك سمع منها صحيح البخاري بمكة مُحَمَّد بن الحسين أبو يعلى السراج من أهل همذان.[٢٠٦]

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بنُ مَنْصُوْرٍ السَّمْعَانِيّ: سَمِعْتُ الوَالِد يَذكر كَرِيْمَة، وَيَقُوْلُ: وَهل رَأَى إِنْسَانٌ مِثْلَ كَرِيْمَة؟[٢٠٧]

---

[٢٠٣]- سير أعلام النبلاء: (١٨/ ٢٣٣).

[٢٠٤]- سير أعلام النبلاء: (١٨/٢٣٤، ١٩/١٢١).

[٢٠٥]- سير أعلام النبلاء: (١٨/ ٢٧٧).

[٢٠٦]- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: (١٦/ ٢٨٠).

[٢٠٧]- سير أعلام النبلاء: (١٨/ ٢٣٤).

كانت صالحة، طاهرة، عفيفة، وقفت نفسها لخدمة العلم، وماتت بكرا لم تتزوج أبدا، وجاورت بحرم مكة طول الحياة، وماتت بها - وَقَدْ بلغتِ المائَة- سنة ٤٦٣ هـ كما قال ابن الوردي في تاريخه[٢٠٨]: (وفيهَا (أي: سنة ٤٦٣ هـ) توفيت كَرِيمَة بنت أَحْمد بن مُحَمَّد المروزية راوية صَحِيح البُخَارِيّ بِمَكَّة عالية الْإِسْنَاد. فرحمة الله عليها رحمة واسعة.

٢٠٨- (٣٦٣/١).

مسك الختام

فهذا هو ذكر نخبة من الأمهات اللاتي عنين بنعمة الله العظيمة — وهي الأولاد- بالغ العناية، فربينهم تربية صالحة أبقتهم إلى الأبد، زينة على ألواح تاريخ الإسلام، ومصباحا ينير الطريق لمن ضل عنه، وكفى بالمرأة فخرا أنها قد أنجبت سيد الأولين والآخرين مُحَّدا صلى الله عيله وسلم.

إن الصلة بالتاريخ، والاطلاع على الماضي مؤشر على حياة الناس. ويقدر مدى شوق النساء من السلف إلى التحلي بالعلم وخدمة الدين مما مضى في الصفحات السابقة من القصص والحكايات الصادقة والواقعية، فكن أمهاتٍ للقادة والبنائين والأئمة، وجعل الله حياتهم قرة العيون لوالديهم، وأكرمهم بالفلاح والنجاح والسعادة في الدارين. ذكر في الكتاب بعض تلكم الأمهات المحسنات ذوات الهمم، وليس ذلك إلا الغيض من الفيض والقليل من الكثير، والقصد الوحيد من تأليفه أن تشعر أمهات العصر الحاضر بعظم مسؤوليتهن وأهميتها تجاه الأولاد، ويفزن بسعادة الدارين والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، بسلوك مسلك السلف الصالح القويم.

وأسأل الله أن يجعل هذا الكتاب منارة النور في عصر سادت فيه ظلام الفتن، وهبت فيه ريح المادية. وما ذلك على الله بعزيز.

إن الابتعاد عن السلف الصالح منهجا وسلوكا من أهم أسباب ضعف المسلمين وهوانهم. ومما نتج عن ذلك في المجتمع: النزوع إلى المادية، وموجة اعتناق حضارة الغرب، والانبهار بها، والرغبة الملحة في تربية الجيل الناشئ وفق نظمها الوضعية. فللحسن البصري أن يولد ثانيا إن كانت الأم أمه، والنجاح في انتظارنا ولكن بعد عبور قنطرة الشروط والأحكام.

وعلى كل فقد قرأنا في هذا الكتاب ذكرا جميلا موجزا للأمهات العالمات الفاضلات ذوات الهمم، يبعثنا على سلوك طريق الناجين. وأسأل الله أن يضع للكتاب قبولا، وينفع به الجميع، ويجعله وسيلة للنجاة والمغفرة لي ولوالدي، وأساتذتي الكرام.

٧/ يناير/ ٢٠١٩ م

الموافق

٣٠/ربيع الثاني/١٤٤٠هـ

فهرس المصادر والمراجع:

١- ابن الأثير، علي بن مُحَمَّد، (ت ٦٣٠هـ، ١٤١٥هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية.

٢- ابن أبي يعلي، مُحَمَّد بن مُحَمَّد، (٥٢٦هـ)، طبقات الحنابلة، دار المعرفة – بيروت.

٣- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ، ١٤٠٩هـ) مناقب الإمام أحمد، دار هجر.

٤- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي، (١٤١٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥- ابن حجر، أحمد بن علي، (ت ٨٥٢هـ، ١٣٧٩هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت.

٦- تهذيب التهذيب لابن حجر، (١٣٢٦هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند.

٧- هدي الساري في مقدمة فتح الباري لابن حجر، دار طيبة.

٨- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩- غبطة الناظر لابن حجر، (١٩٠٣م)، Baptist Mission Press, Calcatta

١٠- ابن حنبل، أحمد بن مُحَمَّد، (ت ٢٤١هـ، ١٤٢١هـ)، المسند، مؤسسة الرسالة.

١١- ابن خلكان، أحمد بن مُحَمَّد، (٦٨١هـ، ١٩٠٠م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر – بيروت.

١٢- ابن سعد، أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعد (ت ٢٣٠هـ، ١٤١٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٣- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، (ت ٤٦٣هـ، ١٤١٢هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل، بيروت.

١٤- ابن عثيمين، مُحَمَّد بن صالح، (ت ١٤٢١هـ، ٢٠٠٨م)، شرح صحيح مسلم، المكتبة الإسلامية، القاهرة.

١٥- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت ٧٧٤هـ، ١٤٢٠هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦- قصص الأنبياء لابن كثير، (١٣٨٨هـ)، مطبعة دار التأليف – القاهرة.

١٧- ابن ماجه، محمد بن يزيد، (ت ٢٧٣هـ)، السنن، دار إحياء الكتب العربية.

١٨- ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله (ت ٨٤٢هـ، ١٤١٣هـ)، تحفة الإخباري بترجمة البخاري، دار البشائر الإسلامية.

١٩- ابن الوردي، عمر بن مظفر، (ت ٧٤٩هـ، ١٤١٧هـ)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت.

٢٠- ابن هشام، عبد الملك بن هشام، (ت ٢١٣هـ، ١٣٧٥هـ)، السيرة النبوية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٢١- أبو داود، سليمان بن الأشعث، (ت ٢٧٥هـ)، السنن، المكتبة العصرية، بيروت.

٢٢- أبو عبد الرحمن الفوزي، (٢٠١٤م) مشهور واقعات كي حقيقت (حقيقة الوقائع المشهورة بأردو)، أريب پبليكيشنز.

٢٣- البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت ٢٥٦ هـ، ١٤٢٢ هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه الجامع الصحيح، دار طوق النجاة.

٢٤- الأدب المفرد للبخاري،(١٤١٩هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٢٥- البروفيسور جلالفوري، (٢٠١٥م)، شرح صحيح مسلم وفوائده (أردو)، دار العلم.

٢٦- البيهقي، أحمد بن الحسين، (ت ٤٥٨هـ، ١٤٠٨هـ)، دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث.

٢٧- الترمذي، مُحَمَّد بن عيسى، (ت ٢٧٩هـ، ١٣٩٥هـ)، السنن، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
٢٨- الحاكم، مُحَمَّد بن عبد الله، (ت ٤٠٥هـ، ١٤١١هـ)، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٩- الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن (ت ٤٦٣هـ، ١٤١٧هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٠- الذهبي، مُحَمَّد بن أحمد، (ت ٧٤٨هـ، ١٤٠٥هـ)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة.
٣١- تاريخ الإسلام للذهبي، (٢٠٠٣م)، دار الغرب الإسلامي.
٣٢- تذكرة الحفاظ للذهبي، (١٤١٩هـ)، دار الكتب العلمية بيروت.
٣٣- الزركلي، خير الدين بن محمود، (ت ١٣٩٦هـ، ٢٠٠٢م)، الأعلام، دار العلم للملايين.
٣٤- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت ١٣٧٦ هـ - ط ١٤٢٠هـ) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة.
٣٥- السيد سليمان الندوي، (ت ١٩٥٣م، ٢٠٠٦م)، سيرة عائشة (أردو)، المكتبة الإسلامية.
٣٦- الصلابي، علي مُحَمَّد مُحَمَّد، (١٤٢٣هـ)، الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.
٣٧- السيرة النبوية للصلابي، (١٤٢٩هـ)، دار المعرفة، بيروت – لبنان.
٣٨- الطبري، مُحَمَّد بن جرير، (ت ٣١٠هـ، ٢٠١٣م) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار ابن حزم.
٣٩- عبد السلام المباركفوري، (ت ١٣٤٢هـ، ١٤٠٦هـ)، سيرة الإمام البخاري، الدار السلفية، بومبائي.
٤٠- الفسوي، يعقوب بن سفيان، (ت ٢٧٧هـ، ١٤٠١هـ)، المعرفة والتاريخ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤١- القاضي أطهر المباركفوري، (ت ١٩٩٦م، ١٩٩٠م)، سيرة الأئمة الأربعة، إداره إسلاميات، لاهور.
٤٢- القاضي عياض بن موسى اليحصبي، (ت ٥٤٤هـ، ١٩٦٥م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب.
٤٣- مالك بن أنس الإمام، (ت ١٧٩هـ، ١٤٠٦هـ)، المؤطأ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٤- مُحَّد إسحاق البهتي، (ت ٢٠١٥م، ٢٠١١م)، *اسلام کی بیٹیاں* (بنات الإسلام)، الكتاب إنترنيشنل.
٤٥- ٦٠ با كمال خواتين (ستون امرأة ذات كمال) للبهتي، (٢٠١٢م)، مكتبة الفهيم، مؤ.
٤٦- مُحَّد بن ناصر الحميد، (٢٠١٠م)، ***قرآن میں خواتین کے واقعات*** (قصص النساء في القرآن)، دار الكتاب والسنة.
٤٧- مهدي رزق الله أحمد، (٢٠١٢م)، صحيح سيرت نبوي بأردو (صحيح السيرة النبوية)، دار العلم، بومبائي.
٤٨- النسائي، أحمد بن شعيب، (ت ٣٠٣هـ، ١٤٠٦هـ)، المجتبى من السنن، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
٤٩- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (ت ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٠- مقتدى حسن الأزهري الدكتور، (ت ٢٠٠٩ م، ٢٠٠٧ م) خاتون الإسلام (أردو) مكتبة الفهيم، مئو.
٥١- الموقع الالكتروني: https://theauthenticbase.wordpress.com

المحتويات: